الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي مغنيّة
معهد الآداب واللّغات
المجلس العلمي

الرّقم: 18/م.ع.م.آ.ل/2024 مغنيّة في: 2024/03/07.

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي العادي لمعهد الآداب واللغات
المنعقد يوم 13 فبراير 2024
خاصّ بالمُصادَقة على قرار تحكيم السّند البيداغوجي للدكتورة بن هامل جميلة

صادق أعضاء المجلس العلمي لمعهد الآداب واللّغات على القرار الإيجابي لتحكيم السّند البيداغوجي الّذي تقدَّمت به الدكتورة بن هامل جميلة، والموسوم "محاضرات في مقياس علم الاجتماع وقضايا الوطن العربي"، والمُوجَّه لطلبة السّنة الثّالثة علم الاجتماع.

رئيس المجلس العلمي

أ.د بوشيبة عبدالقادر
رئيس المجلس العلمي بالمعهد

سُلّم هذا المستخرج بناءً على طلب المعني لاستعماله في حدود ما يسمح به القانون.

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي مغنية

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

محاضرات في مقياس

علم الاجتماع وقضايا الوطن العربي

السنة ثالثة علم الاجتماع

الأستاذة: بن هامل جميلة

السنة الجامعية 2023-2024

البرنامـج

1- مدخل لعلم الاجتماع في الوطن العربي

2- السوسيولوجيا الغربية والواقع العربي

3- النظرية الخلدونية

4- السوسيو-أنثروبولوجيا وبناء الموضوع المحلي

5- الابستمولوجيا وعلم الاجتماع في الوطن العربي

6- الأعمال الإمبريقية الكبرى في السوسيولوجيا المحلية

فهرس المحتويات	الصفحة
مدخل لعلم الاجتماع في الوطن العربي	
السوسيولوجيا الغربية والواقع العربي	
النظرية الخلدونية	
السوسيو-أنثروبولوجيا وبناء الموضوع المحلي	
الابستمولوجيا وعلم الاجتماع في الوطن العربي	
الأعمال الإمبريقية الكبرى في السوسيولوجيا المحلية	

معهد الآداب واللغات
المجلس العلمي للمعهد

تمهيد

يرتبط وجود علم الاجتماع بالظواهر الاجتماعية الموجودة في المجتمع التي يسعى إلى فهمها وإيجاد الحلول لها بطريقة علمية منظمة، فقد وُجد في الغرب نتيجة الأزمات التي عصفت بهذه الدول، محاولا بذلك تشخيصها وإيجاد الحلول لها، بينما اتخذ في الدول العربية أشكالا أخرى، فقد وُجد نتيجة الاستعمار الأجنبي المختلف، والبعثات العلمية للطلبة وغيرها.

إن علم الاجتماع كما هو موجود ومُدرس في الوطن العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، هو منتوج غربي أوروبي يُستخدم كقوالب جاهزة في فهم ودراسة قضايا المجتمعات العربية والمجتمع الجزائري بالخصوص، وهذا باتفاق الباحثين في هذا المجال، من خلال مختلف الكتابات والندوات والملتقيات وغيرها، ما جعل إشكالية أو مسألة علم الاجتماع وعلاقته بقضايا مجتمعه محل تساؤل إلى غاية اليوم، إذ وُصفت بعدة مصطلحات أزمة علم الاجتماع، غياب علم الاجتماع... ما سنحاول التطرق إليه من خلال البرنامج التالي:

مدخل لعلم الاجتماع في الوطن العربي من حيث المفهوم وعوامل النشأة.

السوسيولوجيا الغربية والواقع العربي: مسألة الكونية وهيمنة المفاهيم الغربية

إشكالية السوسيو-أنثروبولوجيا في الجزائر

إشكالية الابستيمولوجيا في علم الاجتماع

إشكالية التأصيل لمعرفة سوسيولوجية على ضوء الفكر الخلدوني، ثم أهم الأعمال الإمبريقية المحلية

المحاضرة الأولى

مدخل لعلم الاجتماع في الوطن العربي

1-نشأة السوسيولوجيا

2-الرواد الأوائل

3-السوسيولوجيا في الوطن العربي

3-1 عوامل النشأة في المشرق العربي

3-2 عوامل النشأة في المغرب العربي

1-نشأة السوسيولوجيا

لقد نشأ وتطور علم الاجتماع في خضم التطورات التي عرفتها المجتمعات الأوربية جراء الثورات الثلاث السياسية(الفرنسية)، الصناعية، والفكرية (انتصار العقلانية والعلم)، التي أدت إلى حالة من الفوضى وبالتالي جاء استجابة للخروج من الأزمات التي عصفت بهذه المجتمعات في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أحدثت تغيرات في البنى الاجتماعية. إلا أن المرحلة الممهدة لعلم الاجتماع كانت مع التفكير القديم في الحضارات القديمة الفرعونية الصينية واليونانية**(عبد الله محمد،1999).**

إن الحديث عن نشأة علم الاجتماع ينطلق من فلسفة أو عصر التنوير التي كان لها دور فكري في التمهيد لخلق مجتمع جديد على غرارالمجتمع الإقطاعي اللاهوتي القديم، من خلال الثورة الفرنسية التي حاولت تجسيد هذه الفلسفة في الواقع، وهذا ما انجرّ عنه تعارض فكري بين رافض ومؤيد أو محاول التوفيق بينهما. وبالتالي فإن نشأة علم الاجتماع لم تكن مستقلة عن التيارات الإيديولوجية الفكرية، الثقافية والسياسية التي كانت سائدة آنذاك**(أبل الكندري،2006،ص253).** فأمام الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المختلفة للمجتمع الأوروبي برزت الحاجة للدراسة والتشخيص وحل المشكلات وتحقيق الاستقرار الاجتماعي.

2-الرواد والمؤسسون الأوائل

وُلدت السوسيولوجيا في الفترة الممتدة ما بين 1890-1900 في ثلاثة مواطن مختلفة فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة لتتخذ بذلك ثلاث مدارس مختلفة باختلاف روادها(**كابان، وآخر، 2010**).

أما في العالم العربي، ظهر علم الاجتماع مع الرائد ابن خلدون الذي يعتبر أول من تحدث عن هذا العلم مطلقا عليه اسم العمران البشري، ليأخذ فيما بعد التسميةالحقيقية "الفيزياءالاجتماعية" ثم "السوسيولوجيا" على يد مبدعها "أوغست كونت" الذي يعتبره الغربيون المؤسس الحقيقي لهذا العلم، "وذلك في سياق فقرة من الدرس 47 من دروس في الفلسفة الوضعية"(**أبل الكندري،2006، ص21**).

2-1**ابن خلدون (1332-1406)**: حاول ابن خلدون ربط موضوع علم الاجتماع بالعصبية، ففهم المجتمع يرتبط بظاهرة العصبية القائمة على أساس الترابط ووحدة الدم والنسب والحمية التي تعزز وتقوي شوكتهم، "وقد صاغ موضوع هذا العلم من خلال قوله أن الاجتماع الإنساني ضروري لأن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحقيق حاجته ومن ثم فتحصيل الحاجة يعد حجر الزاوية في الاجتماع الإنساني و ضرورته"(**الغزوي، 2006، ص37**).

2-2أوغست كونت (1798-1857): درس علم الاجتماع من حيث "الديناميكا الاجتماعية" التي تهتم بدراسة المجتمع في حالة تطور وتفاعل، و"الإستاتيكا الاجتماعية" التي تهتم بدراسة المجتمع في الحالة الثابتة، وقد توصل إلى ما أسماه بقانون الحالات الثلاث: أي التفكير الإنساني مر عبر ثلاثة مراحل؛ المرحلة الدينية (اللاهوتية)، المرحلة الميتافيزيقية أو ما وراء الطبيعة، وأخيرا المرحلة الوضعية.

2-3 كارل ماركس (1818-1883): "يمكن فهم علم الاجتماع عند ماركس باعتباره محصلة للدراسات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية"، فعلم الاجتماع حسبه علم اجتماع صراع الطبقات، إذ يفرق بين طبقتين

كبيرتين في المجتمع الطبقة البرجوازية والطبقة البروليتارية فمساهمته في السوسيولوجيا كانت تخص عدة قضايا: الطبقات، الدولة، الإيديولوجيا...

2-4هربرت سبنسر (1820-1903): اهتم بدراسة تطور المجتمعات الإنسانية، إذ شبه تطور المجتمع بالكائنات الحية في نموها وتطورهاووظائفها، "فكرة المماثلة بين المجتمع والكائن الحي". ولهذا نجد أننظريته الاجتماعية تستند على علم الأحياء. ويتطور المجتمع حسبه من الأشكال البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيدا، تعتمد على تقسيم العمل والتخصص.

2-5إميل دوركايم (1858-1917): "حاول أن يوضح أن الظاهرة الاجتماعية هي كل وسيلة أو كل أسلوب للتصرف تمارس فرضا أو إجبارا خارجيا على الفرد تتصف بالعمومية في مجتمع ما ولكنها توجد في الوقت نفسه مستقلة بذاتها"(**الغزوي، 2006، ص43).**مؤكدا على أهمية دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء واقعية أو حقائق موجودة بالفعل، فموضوع علم الاجتماع هو الوقائع الاجتماعية التي تُدرس كأشياء مستقلة عن الأفراد.

2-6ماكس فيبر (1864-1920): يعرف علم الاجتماع أنه العلم الذي يحاول أن يجد فهما تفسيريا للفعل الاجتماعي من أجل الوصول إلى تفسير علمي، أي علم الاجتماع مرتبط بفهم وتفسير الفعل الاجتماعي والفرد هو الفاعل الأساسي في المجتمع. وبناءً على هذا قسم الفعل الاجتماعي إلى: فعل عقلاني قيمي وغائي، فعل عقلاني عاطفي، فعل تقليدي.

وهكذا نجد أن " ابن خلدون وماركس وكونت ينطلقون من المجتمع الإنساني بشموليته، بينما يركز دوركايم على الوقائع الاجتماعية ممثلة في النظم الاجتماعية، في حين ينطلق فيبر من الفعل الاجتماعي **(عثمان، 2008. ص30).**

3-السوسيولوجيا في الوطن العربي

إن الحديث عن علم الاجتماع في الوطن العربي يجعلنا نقول أنه نتاج تراكم معرفي فرنكفوني وأنجلوساكسوني، إذ انحصرت عملية اكتساب المعرفة السوسيولوجية من التراث الفرنسي والأمريكي والبريطاني، فنجد عبد الباسط عبد المعطي "يستنتج مجموعتين أثرتا في علم الاجتماع في الوطن العربي، تركز المجموعة الأولى على العوامل الخارجية الاستعمار والتبعية، وتركز الثانية على العوامل الداخلية المرتبطة بالأوضاع الداخلية لبنية المجتمع العربي وفي مقدمتها الديموقراطية والوعي الرسمي بمهام علمالاجتماع"**(عبد المعطي، 1989، ص362)** ، وهكذا نجد أن علم الاجتماع في الفضاء العربي ارتبط بعاملين أساسيين، الاستعمار الأجنبي الفرنسي أو الإنجليزي، والأوضاع الداخلية الخاصة بكل مجتمع وبكل فترة من فترات تاريخه.

لقد تزامنت البداية الأوربية للعلوم الاجتماعية الحديثة مع بدايات بناء الدولة الوطنية في الوطن العربي على يد الإمبراطورية العثمانية مع ظهور جيل من حكام الولايات العثمانية، حاولوا الاستقلال عن مركز تلك الإمبراطورية في إسطنبول منهم محمد علي في مصر، وخير الدين في تونس، وداود باشا في العراق، وبشير الثاني الشهابي في جبل لبنان**(إبراهيم، 2014، ص60)**، وكانت من بين جهودهم إرسال البعثات التعليمية إلى أوربا وخاصة فرنسا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

لقد تعرف العالم العربي بالسوسيولوجيا في فترة مبكرة، عن طريق ابن خلدون في القرن الرابع عشر فيما أسماه بالعمران البشري، والذي كان وسيطا وحلقة وصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية.

إن الحديث عن التراث الفرنكفوني والأنجلوساكسوني يحيلنا إلى الكلام عن قطبين كبيرين: دول المشرق التي ارتبطت ثقافتها بالمستعمر

الإنجليزي، ودول المغرب التي ارتبطت ثقافتها بالمستعمر الفرنسي. فالدول العربية بعد حصولها على استقلالها كانت مهمتها توحيد المجتمع وإعادة بناء أنظمتها متبنية في بذلك توجهات إيديولوجية غربية معينة، وكانت نتيجة ذلك أن انحصرت الدراسات السوسيولوجية بين علم اجتماع برجوازي وعلم اجتماع اشتراكي.

إن الواقع السياسي والاجتماعي الذي وُلد فيه علم الاجتماع في الوطن العربي لعب دورا أساسيا في توجهه، فعلم الاجتماع في الوطن العربي كان مع دخول المستعمر الأجنبي للبلاد العربية، والذي كان له الأثر البالغ في تقسيم الوطن العربي إلى مناطق، من هنا يمكن الحديث عن ثلاثة مجموعات بلدانية كبرى تختلف من الواحدة إلى الأخرى:

*أغلبية البلدان البترولية (دول الخليج): التي تبنت سياسات بحث علمية قوية ملهمة من النماذج الأنجلوساكسونية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى، كانت طبيعة التدريس في مراحلها الأولى مطبوعة بخصوصية الجامعة المصرية من حيث ازدواجية المدارس النظرية ولغة التدريس.

*بلدان المشرق العربي: سوريا، العراق، لبنان، مصر، إذ تأثرت جامعات الشرق الأوسط بطريقة مستقلة بالنموذج الفرنسي(دمشق، القاهرة)، ثم البريطاني الأمريكي.

*بلدان المغرب العربي: الجزائر، تونسوالمغرب، ترجع أصولها التأسيسية إلى مدرسة الجزائر للعلوم الاجتماعية ذات الأصول الاثنوجرافية، التي كانت مندمجة ضمن النظام التعليمي الفرنسي، هذه الأخيرة كانت وراء تأسيس العديد من المدارس السوسيولوجية في باقي المستعمرات الفرنسية(**El Kenz,2004, p54**) أما من ناحية لغات البحث فسيطرت الفرنسية في المغرب العربي والإنجليزية في المجموعتين الأخريين.

لقد اختلفت السوسيولوجيا من حيث نشأتها في الوطن العربي بين المشرق والمغرب العربيين، فالمغرب العربي قد تعرف بالسوسيولوجيا عن طريق الاستكشافات الممهدة للغزو الفرنسي من تقارير واستكشافات ومونوغرافات، كما تلقى معظم علماء الاجتماع المغاربة دراساتهم العليا في فرنسا وتأثروا بمختلف المعارف الغربية من مفاهيم ومناهج ونظريات فرنكوفونية،باستثناء من تلقوا دراساتهم في الولايات المتحدة الأمريكية كالمغربية فاطمة المرنيسي والتونسي عبد الباقي الهرماسي وغيرهم، فالسوسيولوجيا انتقلت إلى الفضاء المغاربي خلال الحقبة الكولونيالية وهذا ما يحيلنا للقول أن علم الاجتماع في المنطقة المغاربية كان جزءًا من المشروع الاستعماري، إذ نجد الطاهر لبيب يقول "إن المغرب العربي موضوع سوسيولوجي مبجل لدى بعض علماء الاجتماع الفرنسي"**(لبيب،1989، ص317)**.

أما في المشرق العربي دخلت السوسيولوجيا عن طريق الطلبة الذين كانوا في بعثات علمية إلى أوربا خاصة فرنسا وأمريكا، والذين رجعوا فيما بعد لنشر ما تعلموه بدءًا بالجامعة المصرية.

إن البداية الأولى لعلم الاجتماع في الوطن العربي كانت على أيدي غير مختصين من علوم أخرى كالفلسفة والتاريخ والاقتصاد... والذين أثروا على هذا العلم، فبالنسبة للمشرق العربي كان يدرس كمادة في قسم الفلسفة أي تابع لها وضمن تخصصات أخرى كالحقوق والاقتصاد والسياسة، ثم تحولت فيما بعد إلى قسم مستقل، وتعتبر جامعة القاهرة أول جامعة عربية تحولت فيها السوسيولوجيا إلى قسم مستقل سنة 1956، ثم جامعة دمشق في سنة 1976، ليصبح فيما بعد تدريس علم الاجتماع على أحد الذين زاولوا دراساتهم في الخارج، ما فسح المجال لهيمنة الاتجاهات الغربية. أما في المغرب العربي فالبداية الأولى كانت على أيدي بعض الفرنسيين كجاك بيرك، بيار بورديو، إميل سيكار... لتنتقل إلى الجيل الثاني الذي

تعلم على أيدي الجيل الأول وتابع دراسته العليا في الخارج، وتعتبر سنة1958 السنة التي تم فيها استقلال علم الاجتماع عن الفلسفة في الجزائر كقسم مستقل حسب اتفاق أغلب الباحثين(**أنظرمعتوق، 2004**).

المحاضرة الثانية

علم الاجتماع في الجزائر

1–نشأة علم الاجتماع في الجزائر

1–1 السوسيولوجيا الكولونيالية.

1–2 علم الاجتماع منذ الاستقلال إلى يومنا هذا:

أ–مرحلة ما بعد الاستقلال

ب–من السبعينات إلى منتصف الثمانينات

ج–ما بعد الثمانينات إلى غاية اليوم

1-السوسيولوجيا في الجزائر.

1-1السوسيولوجيا الكولونيالية.

وجدت السوسيولوجيا الجزائرية نفسها غداة الاستقلال أمام تراكم هائل من دراسات مونوغرافية، اثنوغرافية، وأنثروبولوجية من إنتاج كولونيالي، هذه الأعمال والأبحاث كانت موجهة بالدرجة الأولى لدراسة المجتمع الجزائري من حيث عاداته، تقاليده، ولغاته...

إن الطلب على السوسيولوجيا كان مشروعا استعماريا أو بالأحرى طلبا استعماريا وأداة لفهم المجتمع الجزائري، والتعرف على نقاط قوته وضعفه من خلال الدراسات الاستكشافية التي قام بها المستعمر الفرنسي، والتي كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة المشروع الكولونيالي وتزييف الحقائق والوقائع، باستثناء بعض الدراسات العلمية الأكاديمية القليلة التي ترتقي لمستوى البحث العلمي كأعمال جان دريتس Jean Dritzوشارل أندري جوليان CH.AJulienولوكورLe coeurوجاك بيرك. J perqueوانطلاقا من هذا يمكن تقسيم السوسيولوجيا الكولونيالية إلى نوعين :

رسمي: خطط له من طرف الوزارة الحربية من عساكر ومرتزقة خدمةً للمشروع الكولونيالي، وسوسيولوجيا محايدة ذات نزعة أكاديمية وإنسانية كأعمال جاك بيرك**(معتوق، 2004، ص35).**

بعد أن وطأت فرنسا أقدامها في الجزائر بدأت بالتحقيقات والتحريات، بل وبدأت قبل ذلك، فقد كانت بحاجة لمعرفة المناطق التي أبدت مقاومة شديدة، وكان لزاما عليها أن تكشف المجهول للأرياف والبدو، وكانت سنة 1833 بداية ممارسة المهمة السوسيولوجية الكولونيالية، "السنة التي تم

فيها تأسيس تشكيل" لجنة اكتشاف الجزائر العلمي " La comité d’exploration scientifique de l’Algérie بإشراف وزارة الحرب الفرنسية**(معتوق، 200 4، ص33).** هذه اللجنة التي كانت أعمالها وأبحاثها تنحصر حول أوضاع الجزائر، والتي قسمت بموجبها الجزائر إلى ثلاث مقاطعات: الجزائر، وهران، وقسنطينة، وهنا يظهر جليا الدور الحساس والكبير الذي لعبته هذه اللجنة في تحقيق تراكم معرفي سوسيولوجي كولونيالي "جزائري" يتطلب إعادة قراءته وتحليله بطريقة نقدية.

لقد حاولت فرنسا بناء العلاقات الاجتماعية في الجزائر وفق الرأسمالية الأوربية عن طريق القوة وبسط النفوذ والهيمنة، من خلال معرفة سوسيولوجية تكونبمثابة تمهيد لمعرفة وفهم المجتمع الجزائري، وبالتالي كانت السوسيولوجيا الأنسب لأداء هذا الدور،وهنا نجدمحمد حافظ دياب يقول في هذا الإطار هناك "قيام نوع من التظافر الغريب والعجيب المثال بين عمل الاستعمار الفرنسي وممارسة علم الاجتماع، فإذا كان الأول هو الذي يوجه الثاني ويقوده باسم مجد فرنسا، فإن الثاني استطاع أن يمد الأول بالعديد من الأسلحة الفتاكة والخطيرة"**(دياب، 1990، ص.ص85-87).** فقد وظف المستعمر الفرنسي علم الاجتماع ومختلف الدراسات المقامة كاستراتيجية قوية في مواجهة شعب أبى إلا أن يقف في وجهه، وبالفعل فقد تم جمع معطيات في قرابة أربعين مجلدا بين 1844و1867، حقائق كانت مشوهة ولا صلة لها بالمجتمع الجزائري، إذ يصرح دسبارمي في مقاله contribution a une histoire contemporaine de l’Algérie1911-1937قائلا "منذ الغزو لم نر الأهالي يفقدون ثقتهم في الانعتاق القريب إن هذا الأمر لم تحدثنا عنه أدبياتنا الاستعمارية ولا التقارير الرسمية غير أن التاريخ والملاحظة يشهدان على ذلك... إن هذا الموضوع جديد بالنسبة لاقتراحات التحليل الإثنولوجي الصرف لهذا

العهد"**(لوكا.وآخر، 2002، ص56)**، وهذا يدل على تماسك وصمود وقوة شعب لم يجد المستعمر بديلا عن الدراسات السوسيولوجية المخططة لاختراقه ووضعه تحت قبضته، فالحقائق والأبحاث والدراسات كانت مشوهة ومغالطة ومسخرة لخدمة مصالح الجيش الفرنسي، وهذا ما أكده العديد من الباحثين " ولكن قد زعم كل واحد بأنه في مقدوره الحديث عن بلد يدعي أنه قد قضى به ثلاثة أشهر أو ستة أسابيع وأحيانا عشرة أيام أو أقل"**(لوكا.وآخر، 2002، ص21)**، وهذا التصريح خير دليل على أن الدراسات والتحقيقات كانت مشبوهة وتفي بالغرض الفرنسي.

ويعود أول تحقيق ميداني حول المجتمع الجزائري ما بين 1844و1867 نشرت حوصلة هذه الدراسة في أربعين مجلدا، وشكلت بداية التراكم المعرفي والعلمي الكولونيالي حول المجتمع الجزائري**(عروس، 2014، ص265)**.

أهم الدراسات الكولونيالية:

لقد كانت الدراسات السوسيولوجية الكولونيالية حول المجتمع الجزائري، واهتمامات المستعمر تخص أكثر موضوع الدين الإسلامي ومختلف مؤسساته من مساجد وزوايا وغير ذلك، وحول الثنائية عربي/قبائلي إضافة إلى الدراسات القانونية لاستغلال أراضي السكان الجزائريين، كلها دراسات تمس عادات وتقاليد وطقوس المجتمع الجزائري من بينها: أعمال النقيب "دونوفو""Deneveu" Le Kouane.Ordre religieux chez lemusulman، "ريمون شارل" "Raymond Charles".

أما فيما يخص الدراسات الخاصة بالقبائل، نجد دراسة "هانوتو" "Hanotaux" وزميله "لوتورنو" "Letourneau" بعنوان جرجرة وعاداتها La Kabylie et les coutumes kabyles**(معتوق، 2004، ص55)**، إضافة إلى دراسة جول ليورال Jules Liorale حول الأعراف البربرية لمنطقة قبائل جرجرة، حاولت تقديم تحليل وتفسير تاريخي واجتماعي للحركة الثورية

التي ظهرت في منطقة القبائل خاصة حركة المقاومة الشعبية للمقراني والحداد اللتان اندلعتا في عام 1871**(محمد أكلي، 2004، ص103)**.

في حين نجد في مجال الدراسات القانونية دراسة "مينارفيل" Menerville المعنونة "قاموس التشريع الجزائري 1860 "، وبيرون Perron1848-1854 في أربعة أجزاء، ودراسة "هيج" Huges، ولابراتLaprat تحت عنوان "القانون الجزائري"، وعمل سوتيرة Sautayra، و"استوبلون"Estoublon و" كاربنتي" Carpentier، هذه الدراسات التي قدمت العديد من الخدمات للمشروع الكولونيالي، إضافة إلى دراسة "إميل مسكراي" "Emile Masqueray" التي تندرج ضمن الدراسات الأكاديمية ودراسة "كاريت" "Carette" وهي دراسة هامة ومشهورة.**(معتوق، 2004، ص41)**

إن الملاحظ والقارئ للسوسيولوجيا الكولونيالية، يرى طغيان الجانب الاثنوجرافي عليها، "وهنا يتطلب الموقف التمييز بين السوسيولوجيا والعلوم المجاورة لها كالإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، فالدراسات السوسيولوجية الكولونيالية غلب عليها الطابع الاثنوجرافي الوصفي، ثم جاءت فيما بعد الكتابات الإثنولوجية والسوسيولوجية التي استخدم فيها الأسلوب التحليلي المقارن للمادة الاثنوجرافية"**(بوراكي.1997.، ص 2000)**، وبالتالي فالدراسات الكولونيالية كانت دراسات وصفية لأسلوب حياة المجتمع الجزائري، المتمثلة في الخصائص اللغوية والثقافية والإسلامية، والتي شكلت مادة أساسية للتحليل والمقارنة.

لقد تركزت الدراسات والأبحاث على دراسة القبائل، والثنائي عربي/ بربري، والدين ومؤسساته واللغات، و"هو ما أدى بها إلى تكريس منظور التحليل الانقسامي" Analyse segmentaireعلى كل مستويات البنى الاجتماعية في الجزائر"**(دياب، 1990، ص89)**. إن فكرة الثنائية والازدواجية في الكتابات السوسيولوجية كانت ولازالت حاضرة إلى يومنا

هذا، فقد اعتمدها ابن خلدون في تقسيمه للمجتمع العربي إلى بدو وحضر، ثم أوغست كونت في تقسيمه للمجتمع الإستاتيكي والديناميكي، ثم دوركايم في تقسيمه للمجتمع الآلي والعضوي، وفي الجزائر مثلت الثنائيات حداثة/تقليد، صناعة/ زراعة، ريف/حضر مواضيع بارزة في الدراسات السوسيولوجية.

إن الدراسات الكولونيالية حول المجتمع الجزائري، أو الإرث الكولونيالي طرح ومازال يطرح مشكلا حول استمرارية هذه المعرفة في الدراسات والأبحاث السوسيولوجية الراهنة، أو وضع قطيعة معها، فهناك من ينادي بوضع القطيعة مع هذا الإرث بحكم أنه كان في خدمة مصالح وأغراض المستعمر الفرنسي وابتعاده عن الطابع الأكاديمي وهذا ما يتطلب الرجوع إليه بتحليل نقدي، "فنجد مثلا عبد الكبير الخطيبي من الباحثينالمقتنعين بضرورة خلق قطيعة إبستيمولوجية وإيديولوجية مع كل الخطابات المعرفية التي أقيمت حول المجتمعات المغربية قبل وبعد الاستقلال**(محمد أكلي، 2004، ص109)**. إلا أن البحث العلمي يعتمد على معرفة ودراسات سابقة فهو نتاج تراكم مستمر، ولهذا تعتبر الدراسات الكولونيالية من المراجع التاريخية الهامة التي يجب استعمالها والاستفادة منها بطريقة صحيحة منهجية ونقدية.

لقد استمر البحث السوسيولوجي في الجزائر بتبعيته لهذا الإرث الكولونيالي بعد الاستقلال، وما يؤكد هذا، قائمة الفرنسيين الذينتابعوا مهامهم فيقسم علم الاجتماع كإميل سيكار الذي تولى إدارة قسم علم الاجتماع ما بين 1963-1967 وبيار بورديو وبريونBrilland 1967-1969، إضافة إلى استمرارية المناهج والمفاهيم الفرنسية في الجامعة الجزائرية.

1-2 علم الاجتماع منذ الاستقلال إلى يومنا هذا:

تم استعمال مصطلح السوسيولوجيا في الجزائر مع بداية ترسيخ المدرسة الدوركايمية في فرنسا والاعتراف بها، وظهر من حيث الاستعمال مع دراسة مي سباتي Sabatierسنة 1884 بعنوان السوسيولوجيا الأهلية Sociologie indigène ثم سوسيولوجيا الإسلام وسوسيولوجيا البربر والسوسيولوجيا في الجزائر**(معتوق، 2004، ص74.)**

لقد كان علم الاجتماع في الجزائر تابعا للفلسفة، ما جعله محل نقاش وتضارب حول استقلاليته كفرع مستقل عن الفلسفة، فهناك فريق يتزعمه نسيب راجم Nassib Redjimفي كتابه industrialisation et système éducatif en Algérieأن معهد الفلسفة وعلم الاجتماع تم إحداثه بجامعة الجزائر سنة 1952، وفريق ثاني يتزعمه مصطفى بوتفنوشت من خلال مقاله في مجلة علم الاجتماع تحت عنوان Aperçu historique de l'enseignement de la sociologie 1991، يقول فيه أن الانطلاقة الرسمية واستقلالية هذا الفرع عن فروع المعرفة في العلوم الاجتماعية يرجع إلى سنة 1958 داخل كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر، وفريق ثالث يتزعمه عبد الرحمن بوزيدة في مقاله الذي كتبه في جريدة الشعب الأسبوعي تحت عنوان "علم الاجتماع والإصلاح سنة 1976"، يقول أن علم الاجتماع كفرع مستقل في جامعة الجزائر كان في بداية الستينات، وكان يشمل خمسة شهادات: علم الاجتماع العام، علم النفس الاجتماعي، الديموغرافيا، الاقتصاد، الأنثروبولوجيا**(المرجع نفسه، ص74.)**

لقد دُرّس علم الاجتماع في البداية كما سبق القول كمقياس ضمن تخصصات، كالحقوق والسياسة والفلسفة، وأُدخل لأول مرة في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية والسياسية سنة 1930 لصالح الطلبة في طور تحضير شهادةالدكتوراه، وكان روني مونيه RenéMaunierأول من وضع برنامجا لعلم الاجتماع موجها للطلبة. أما في كلية الآداب والعلوم الإنسانية "كفرع" كان يدرس من طرف الجيل الأول والثاني غداة الاستقلالعبد

الرحمن بوزيدة، فاروق بن عطية، عبد الغني مغربي، كلودين شولي، نور الدين حقيقي، سيدي بومدين، محفوظ سماتي، فأغلبية الأساتذة كانوا فرنسيين(**معتوق، 2004، ص76**).وهو ما أكده كذلك جمال غريد " في جامعة الجزائر أغلبية الأساتذة كانوا فرنسيين اثنان منهم كانا من الطلبة القدامى ل ألتوسير Althusser وهما باليبارEtienne Balibar في الفلسفة وبريون Jean pierre Briallandفي علم الاجتماع وكذلك بورديو وباسيرون Passeron وصياد A Sayad وروبار كاستل Robert Kastelكلهم من المدرسة الأوربية قدموا للتدريس في الجزائر"(**Guérid, 2001, p26**)

أما من حيث التسيير الإداري فتميزت هذه المرحلة بالاستقرار في عهد إميل سيكار وبعد مغادرته الجزائر 1967 تعاقب العديد من الأساتذة الأجانب على هذا الفرع ليصبح فاروق بن عطية أول جزائري بعدهم يدير قسم علم الاجتماع.

يتمفصل تطور السوسيولوجيا في الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا حول ثلاثة مراحل كبرى:

1-2-1مرحلة ما بعد الاستقلال: عمل علماء الاجتماع في هذه المرحلة على التوفيق بين الرصيد السوسيولوجي الموروث من جهة، ومن جهة ثانية مشروع الدولة الوطنية الذي سعت إليهالجزائر، "وبالتالي غياب في هذه المرحلة النقد العلمي للأطروحات الكولونيالية طالما أن علم الاجتماع كان تحت توجيه فرنسا، فالمدراء كلهم فرنسيون، البرامج مستوردة من فرنسا هذا كان يخص كل الدول العربية غداة الاستقلال"(**معتوق، 2000، ص37**)، ويؤكد عبد الباقي الهرماسي هذا بقوله "يتعلق الأمر إذن بدعم الانتماء إلى الدولة الأمةعلى حساب الانتماءات الأخرى كمايتعلق بمواصلة وتعميق ما شرع فيه الاستعمار من تفكيك بنى المجتمع التقليدي بما في ذلك العائلة التقليدية والاقتصاد التقليدي والثقافة التقليدية، الشيء

الذي جعل الدولة تبرر كمؤسسة مبشرة بالحداثة"**(الهرماسي، 1995، ص116)**.

وكانت 1962 السنة التي نوقشت فيها لأول مرة رسالتان لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثانية جزائرية ومن طرف جزائريين"**(معتوق، 2000، ص36)**رسالة فاروق بن عطية بعنوان العمل النسوي في الجزائر " Le travail Féminin en Algérie" ورسالة بن أشنو مراد بعنوان دراسة سوسيولوجية للتسيير الزراعي في الجزائر étude sociologique de L'autogestion agricole en Algérie.

لقد دعت الجزائر في هذه المرحلة إلى القطع مع الظاهرة الاستعمارية، ومواصلة تطويقها بالفهم والنقد والاستقصاء على الصعيدين العملي والعلمي، وهو ما يمكن أن يترجم سوسيولوجياً بموقفرفض النقل الآلي لسياقاتها النظرية والمنهجية(**دياب، 1990،ص95)**.إلا أن التوجه الفرانكفوني بقي مسيطرا في الجامعة الجزائرية حتى أواخر السبعينات.

1-2-2منالسبعينات إلى منتصف الثمانينات: وهي المرحلة الهامة من عمر علم الاجتماع، ثرية بأحداثها ووقائعها الحاسمة في تاريخ السوسيولوجيا الجزائرية، في هذه المرحلة حدثت القطيعة مع الإرث الكولونيالي، ويتجلى ذلك من خلال مشروع الدولة الجزائرية الذي تبنته الجزائر، والذي شرعت في تطبيقه فعليا، هذا المشروع أريد له أن يكون مشروعا تحديثيا في مقابل محاربة كل ما هو تقليدي، ومهمة موكلة لعلماء الاجتماع في إطار قالب الإيديولوجيةالاشتراكية والحزب الواحد، وهذا ما يفسر الشهرة التي نالها علم الاجتماع في تلك الفترة ، ما جعلهم يسمونه في هذه المرحلة بالمرحلة النضالية؛ أي نضالا مسطرا من قبل الدولة على حساب ريع بترولي مسخر.

"في هذه المرحلة كان يُرجى من علم الاجتماع كعلم تحرري يحققالتقدم للمجتمعات الخارجة عن الاستعمار أي كان مرادفا للتنمية

والتغير"**(عنصر، 1999، ص64)**،وهذا يدل على وضعية علم الاجتماع في الجزائر وعلمائه وطلبته كمجندين لخدمة المصلحة العليا في إطار الإيديولوجية الاشتراكية.

لقد كانت التخصصات هي الأخرى في خدمة المشروع الدولاتي وأهدافه، فنجد علم الاجتماع الريفي-علم الاجتماع الحضري علم الاجتماع الصناعي، تجاوبا مع الثورة الزراعية والصناعية والثقافية، وحتى المواضيع البحثية كانت في هذا الاتجاه، ما يتطابق مرة أخرى مع تصريح الوزير إذ يقول "فإن العمل السياسي الذي يقوم به الطلبة المتطوعون لصالح الثورة الزراعية يعجل بتغيير الأنظمة وتزداد آثاره في تطوير طرق التفكير وتغيير العلاقات الإنسانية"**(Mohamed Seddik, 1974,p40)**فقد كُلف علم الاجتماع في هذه الفترة بدور ريادي "تنموي"، "تلك هي النظرة التي سادت حول علم الاجتماع في الملتقى الرابع والعشرين، والتي طرحت دوره من هذه الزاوية في بلدان العالم الثالث بعامة والجزائر بخاصة، لقد نظر إليه كمادة علمية بإمكانها المساهمة في التنمية"**(بشير، 1994، ص02)**،على حساب العلوم الأخرى.

فتحليل مسيرة السوسيولوجيا في الجزائر في هذه الفترة، يبين اكتساح هذا العلم الطابع التنموي، "في تمجيد مونوبول الشرعية التاريخية والسياسية، فرضت السلطة السياسية نفسها منذ البدايات الأولى للاستقلال كفاعلة وحيدة مكلفة بتنمية البلد، بمعنى آخر تحديث وتحرير المجتمع الجزائري**(Lakjaa 2004, p41)**.

إذن مرحلة كما سبق القول غنية بأحداثها؛ حيث عرفت كذلك بداية إصلاح التعليم العالي سنة 1971 وعلم الاجتماع خاصة، جزأرة التعليم والشروع في التعريب وذلك ما تأكد مع قرارات 1971 ومرسوم أوت 1973 وقانون 1980 الذي استهدف جزأرة الجامعة وتعريب مناهجها وتغيير نظمها البيداغوجية وتكوين الإطارات استجابة لمتطلبات التنمية،

واستعانت الدولة بالإخوة المشارقة في مصر، سوريا، العراق... للتدريس والتعريب.

إن اعتماد مبدأ ديموقراطية التعليم من طرف وزارة التعليم العالي سمح بالاستفادة من فرص التكوين الجامعي وهذا ما أدى إلى تزايد كبير في عددالطلبة المتمدرسين.

وهنا وجدت قضية التعريب نفسها أمام جدل كبير، بين من اعتبرها حجة لاسترجاع الهوية الإسلامية العربية، وبين منراَها السبب في الوضعية التي اَل إليها علم الاجتماع، ومن جهة أخرى إسنادها لأناس لا علاقة لهم باللغة العربية.

إن تدريس علم الاجتماع باللغة العربية خلق صراعا بين طبقتين مختلفتين، بين رافض تام لكل ما هو فرنسي "المعربين"، ما فسره الطرف الثاني "المفرنسين" بالعجز في التعامل مع اللغة الأجنبية، وبضرورة إبقاء بعض المصطلحات بلغتها الأصلية، إضافة إلى التيار الإسلامي الذي برز محاولا فرض سيطرته والدفاع عن اللغة العربية ورفض كل ما هو غربي، فقد أخذت قضية التعريب في الجزائر أبعادا أكثر من علمية ما لاحظه الكثير من الباحثين.

1-2-3المرحلة الثالثة ما بعد الثمانينات إلى غاية اليوم: المرحلة التي انعطف فيها مسار السوسيولوجيا، فبعد ما كان علما نضاليا لصالح الدولة أصبح مع سقوط النظام الاشتراكي، وتبني الإيديولوجية الليبرالية علما غير مرغوب فيه، وأصبح الاتجاه نحو العلوم الطبيعية والتقنية باعتبارها أساس تنمية الاقتصاد الوطني على حساب العلوم الأخرى، وتراجعت قيمة السوسيولوجيا وفقدت هويتها، وخلال هذه الفترة نجد عنصر العياشي يقول "إن الموقف السلبي اتجاه علم الاجتماع بدا واضحا من خلال الخريطة الجامعية التي تم اعتمادها سنة 1984، التخطيط لاختزال معاهد

العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع خصوصا ومضاعفة المعاهد المتخصصة للعلوم التطبيقية والتكنولوجية"**(عنصر، 1999، ص66).**

مع دخول الجزائر فترة العشرية السوداء وانهيار الحزب الواحد الحاكم، وظواهر العنف والإرهاب وأحداث أكتوبر 1988 وغيرها من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية الهامة، التي أثرت في البحث السوسيولوجي نوعا ما، "كما تراجعت المفاهيم ذات الصبغة الاشتراكية أمام ظهور مواضيع جديدة تهتم أكثر بالقضايا الثقافية والسياسية، وبرزت دراسات ترتكز حول وضعية المرأة، الحركات الدينية، الأحزاب، حقوق الإنسان... والتي كانت تعد في عهد الإيديولوجية الاشتراكية من الطابوهات"**(معتوق، 2000، ص39)**ويبدو هذا واضحا من خلال الإصلاحات التربوية في برامج علم الاجتماع ثم في ميدان البحث من خلال مواضيع البحث السوسيولوجي والكتابات السوسيولوجية بعد سنة 1988"**(زاوي، 2009، ص71)**.

معهد الآداب و اللغات
المجلس العلمي
للمعهد
المركز الجامعي سقيدة

المحاضرة الثانية

السوسيولوجيا الغربية والواقع العربي

*إشكالية الكونية الأوروبية وهيمنة المفاهيم الغربية

ضمن الظروف التي عُرف فيها علم الاجتماع بالأزمة، الفشل وغيرها من التسميات التي تختلف باختلاف المعاني وباختلاف الباحثين، أخذ علم الاجتماع وعلماؤه اتجاها نقديا، محاولين بذلك تحديد أسباب قصوره في تفسيره للواقع الاجتماعي.

وارتكازا على المؤشرات السابقة يمكن التأكيد على الدور الذي أُنيط به علم الاجتماع، وذلك من حيث ارتكازه على أطر وتصورات ومفاهيم معرفية غربية.

إن إثارة مسألة أزمة علم الاجتماع بشكل دوري في الآونة الأخيرة من قبل العديد من الكتاب والباحثين العرب والجزائريين بصفة خاصة أصبحت اليوم تعد بالعشرات، من خلال الملتقيات والندوات والمحاضرات العلمية وغيرها، فلا نجدها تخلو من التساؤل عن أزمة هذا العلم، فإلى حد الآن لازلنا نرى التعقيب والمناداة بعلم اجتماع نقدي، وكأن العجلة تدور في نفسها، أي إعادة إنتاج نفس الأسباب والمعوقات والتساؤلات، ما تساءل عنه عبد القادر لقجع في الملتقى الدولي بوهران حول علم الاجتماع والمجتمع سنة 2012 لماذا لم تؤثر كل المعاينات من طرف علماء الاجتماع حتى الآن على علمهم وممارساتهم؟

إن من بين التساؤلات التي نطرحها في هذا المقام هي: هل هناك آذان صاغية لكل ما طُرح وما توصل إليه؟ وهل هناك قدرة على الاستجابة والتأثير؟ وهل هم ملتزمون بما توصلوا إليه؟ "هل ما قدم من خلال العلم يعبر عن مضامين منتج أجنبي أعاد المشتغلون به هذا الانتاج متأثرين بالمواصفات الغربية لإنتاجه، أم أنهم تأثروا عند إعادة الانتاج هذه بخصائص ومتطلبات واقعهم الاجتماعي؟"**(عبد المعطي، 1986، ص361**)وهل تقع المسؤولية فقط على المشتغلين بهذا العلم؟ أسئلة يمكن إضافة العديد منها.

بناءً على الدراسات التي وُجدت في هذا المجال، يمكن القول أن السوسيولوجيا لا زالت في لحظة بحث عن الذات وعن الطريق على حد تعبير الباحث المغربي عبد الصمد الديالمي.

ويمكن القول مرة أخرى أن علم الاجتماع لم يتغير والممتهنون لهذه المهنة لم يتجاوزوا بعد مصطلح الأزمة والتوجه نحو علم اجتماع نقدي... ومحاولة خلق وبناء حقل مفاهيمي جديد.

لقد طرح "بوخريسة بوبكر" في مقاله: "السوسيولوجيا المغاربية بين التركة الكولونيالية ورحلة البحث عن الهوية هذا التساؤل": "أين تتموقع السوسيولوجيا اليوم في المجتمع المغاربي؟ هل هي موجودة؟ هل تنتج وتجدد معارفها؟ هل هناك مجتمع من السوسيولوجيين المحترفين؟"**(بوخريسة، 2011، ص112).**

"ما ينتج في أوروبا من باب البحث العلمي في السوسيولوجيا بإمكانه الاستهلاك عندنا، لذا لا يهمنا مصدر إنتاج المعرفة بحيث يجب القول بكل أسف ان هناك مختبرات أوروبية عديدة تفكر لنا وفي مكاننا كما لها قدرة البحث حول المسائل التي هي خصوصا مسائل تخص العالم العربي وكم هم مطلعون جيدا على الميدان(بشير،**1994، ص 143)**

"فلا يمكن لعم الاجتماع بصفته موضوع معرفة أن يرقى إلى الفعالية ويكون منتجا إلا إذا تواجد في مجتمع يرضى بالنقاش المعاكس، أي قبول الاختلاف في الرأي، غير أن هذا الأمر غائب عندنا"(المرجع نفسه، **ص 145)**

لقد أوضح جمال غريد في كتابه "الاستثناء الجزائري" **(Guérid, 2007)** صعوبة دراسة المجتمع الجزائري بواسطة المفاهيم السوسيولوجية الغربية. وهو ما يظهر جليا في كتابه "الدخول في السوسيولوجيا" "اقتراح

معرفة للمجتمع الجزائري كإنتاج تاريخي"، "اقتراح شبكة تحليل لدراسة المجتمع الجزائري في كليته ومكوناته"(**Guérid, 2013, p12**).

وفي هذا الإطار طرح ثلاث تساؤلات للدخول في علم الاجتماع في الجزائر والوطن العربي(**IBID, p12**)

هل لعلم الاجتماع القدرة على فهم مجتمعات لها خصوصياتها، وتختلف عن المجتمعات الأوروبية التي أنتجت هذا العلم؟

لماذا تستخدم نفس المفاهيم العلمية خاصة بمجتمعات صناعية رأسمالية غربية لفهم هذه المجتمعات المغايرة؟

لماذا يتم ترسيخ فكرة الكونية في السوسيولوجيا ومن ثم إقصاء باقي التجارب الإفريقية والأسيوية وغيرها؟

فبالنسبة لعلم الاجتماع يقول غريد أنه يمكن التأكيد على أن علماء الاجتماع في الوطن العربي بعامة والجزائر بخاصة حاولوا الدخول لإقليم أو فضاء علم الاجتماع عن طريق ثلاث صيغ:

-الدخول بواسطة الكونية الأوروبية أو تبني الرؤية الكونية:

أي الدخول وفق ما هو موجود وما هو مهيمن ومسيطر "علم الاجتماع الغربي الأوروبي"، وهنا يشير للتجربتين المصرية والجزائرية في اتجاهيهما الدوركيمي والألتسيري.

-الدخول بواسطة الخصوصية الثقافية:

القائم على محاولة تأسيس علم اجتماع محلي أو سوسيولوجيا خاصة بالمجتمع العربي، نابعة من الإرث العربي الإسلامي، والرفض الكامل لعلم الاجتماع الغربي.

ـالدخول بواسطة التنمية:

أي علم الاجتماع التنمية، هذه المقاربة التي ترتكز على أفضلية النموذج الغربي ومن ثم إمكانية تطبيقه على جميع المجتمعات الأخرى.

يمكن القول إذن أن علماء اجتماع العرب قد أجمعوا واتفقوا على محدودية وقصر النظريات والمفاهيم الغربية في دراسة الواقع العربي بعامة والجزائري بخاصة، وهو ما أنتج لنا حسبهم سوسيولوجيا بدون مجتمع، مجتمع لا زال يبحث عن سوسيولوجيته.

"فإذا كان ريمون آرون يقول سنة 1930 أن أشد ما يحتاج إليه علم الاجتماع الفرنسي هو علماء الاجتماع، فإن أشد ما يحتاج إليه علماء الاجتماع العرب هو علم الاجتماع نفيه"**(Guérid, 2013, p222)**

معهد الآداب و اللغات
المجلس العلمي للمعهد
المركز الجامعي مغنية

المحاضرة الثالثة

النظرية الخلدونية

1-النظرية العصبية

2-نظرية الدولة

2-إشكالية التأصيل لمعرفة سوسيولوجية على ضوء الفكر الخلدوني

1-النظرية العصبية:

يعتبر ابن خلدون أول من عالج الأحوال الاجتماعية والإنسانية والمظاهر الاجتماعية واكتشافه لعلم مستقل "وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل...وتقوم نظريته على افتراضين أساسين لقيام المجتمع واستمراره:

أ*إن الاجتماع البشري ضروري لتلبية الحاجات الضرورية للإنسان، ومن ثم الكماليات في مراحل أخرى.

ب*أن قيام المجتمع يتطلب التنظيم وضبط العلاقات.

في حين تمثل العصبية أساس التجمع وقيام الدول، التي تختلف باختلاف النمط الاجتماعي للمجتمعات البدوية والحضرية.

إن مفهوم العصبية عند ابن خلدون تقوم على لحمة الدم، فهي قوة الدم المشترك بين أفراد القبيلة الواحدة الذين تجمعم أهداف ومشاعر مشتركة، وهي أساس قيام الدول والمماليك والوصول إلى السلطة، وبهذا فهي تقدم وظيفة سياسية. فلا قيام لملك وبقائه دون وجود عصبية تخضع الناس للطاعة. وهنا يؤكد ابن خلدون على قوة العصبية لبقاء السلطة وتغلبها على العصائب الأخرى، إلا أنها لا تبقى قوية وإنما تزول بقيام عصبية أخرى محلها وهكذا دواليك، وهذا ما يفسر أسباب ضعف الدولة.

فالعصبية تبرز مظاهرها في حماسة الدفاع المشترك وحالة الالتحام والتماسك القائم على صلة الدم والتجمع مركزه رئيس القبيلة. فهي المؤطر الأول والمنظم للعلاقات الاجتماعية سواءً داخل القبيلة أو خارجها.

وحسب محمد عابد الجابري العصبية عند ابن خلدون رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعور ولا شعورية تربط أفراد جماعة معينة قائمة على القرابة المادية والمعنوية، ربطا يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة، وهذه الرابطة يكون ظهورها واضحا عند البدو للحاجة إليها في الدفاع عن

أحيائهم..."وبالتالي فهو شعور الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من العصبة التي ينتمي إليها بل وهو استعداد دائم في نفس الوقت يدفعه إلى تجسيم هذا الانتماء بفنائه فيها فناءً كليا، إن الفرد في هذه الحالة يفقد شخصيته بل فرديته، ويتقمص شخصية العصبة" **(الجابر .1994.ص168.)**.والعصبية، الصراع بين البداوة والحضارة ليست أكثر من ظواهر عمرانية مرتبطة بالدولة باعتبارها صورة للعمران والشكل الحافظ لوجوده، وبالتالي العمود الفقري للدراسات الخلدونية"**(المرجع نفسه، ص128).**

2-الدولة والعصبية:

تعتبر الدولة ظاهرة سياسية قديمة، وقد تناولها العلامة ابن خلدون من حيث العصبية كأساسها وعمادها، والبدويةكنشأتها. فزوال العصبية هو زوال الدولة.

والعصبية هي أساس الملك ونشوء الدول، "والعصبية هي سبب مباشر لقيام الملك، وهي سبب مباشر أيضا لانهيار ذلك الملك، لأن العصبية هي محور أساسي من المحاور التي اعتبرها ركائز الفكر السياسي، وبخاصة في مجتمع قبلي تتحكم فيه معايير القوة والسيطرة والتغلب، وهذه عوامل لا يمكن بروزها إلا في ظل عصبية قوية تعطي معنى التكاثف والتلاحم والتناصر" **(النبهان. 1998.ص155).**

وهي رمز وقوة البداوة في الصراع الحاصل بين البدو والحضر، للتنافس على الحصول على السلطة وإنشاء الدولة، وحركة الانتقال من المجتمع البدوي إلى المجتمع الحضري القائم على الصراع، تتم ضمن حركة دائرية، أو على شكل دورة.

***عمر الدولة:**

شبه ابن خلدون الدولة بالكائن العضوي، فكما للكائن العضوي عمر فالدولة كذلك، وبالتالي يعتقد أن الدولة تتكون من ثلاثة أجيال، كل جيل

أربعين سنة، وبالتالي عمر الدولة مائة وعشرون سنة. ويمر المجتمع الإنساني خلال هذه الأجيال الثلاث بثلاث مراحل: مرحلة الملك، مرحلة التحول إلى المجتمع الحضري ومرحلة الترف والرقي والازدهار. وخلال هذه الأجيال الثلاث تتطور العصبية من القوة إلى الضعف.

-الجيل الأول: وهو جيل بدوي محض، يتميز بالشجاعة والقوة والشراسة، ما يعكس قوة العصبية لديهم.

-الجيل الثاني: يختلف عن الجيل الأول، فهو جيل وسط أخذ من الجيل الأول وتحول إلى الجيل الثاني، مرحلة التحول والانتقال إلى المجتمع الحضري.

-الجيل الثالث: وهو الجيل الذي يبلغ فيه الترف ذروته، وتضعف العصبية وتسقط.

أما عوامل سقوط الدولة فقد لخصها في: احتكار السلطة، فساد عصبية الدولة، الانهماك في الترف، الراحة وعدم الإنتاج، والخلل الذي يصيب الدولة في العناصر الأساسية المشركة "الجند، المال، العدل".

وتتطور الدولة عبر خمسة مراحل في نظر ابن خلدون:

الطور الأول:الظفر، السعي والتأسيس والاستلاء على الملك

الطور الثاني: طور الاستبداد والانفراد واحتكار الحكم والسلطة.

الطور الثالث: طور الفراغ، تنظيم شؤون الحياة، وتحصيل المال، والسعي نحو الشهرة.

الطور الرابع: طور القنوع والمسالمة، القنوع بما أتى به أسلافه، ومسالمة حكام ورؤساء الدول.

الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير، الاستهلاك والانغماس في الملذات والشهوات، وتخريب ما أتى به الأسلاف.

3-إشكالية التأصيل لمعرفة سوسيولوجية على ضوء الفكر الخلدوني

يتساءل الجابري عما إذا كان علم العمران الخلدوني ينطبق تماما على الدراسات الاجتماعية الحديثة المعروفة باسم السوسيولوجيا، وعما إذا كان بالتالي يستحق لقب المنشئ والمؤسس لعلم الاجتماع(**المرجع نفسه، ص128)**. فيجيب بأن علم العمران الخلدوني هو تماما علم الاجتماع الحديث.

تعتبر مسألة محاولة التأسيس لسوسيولوجيا محلية نابعة من الإرث الثقافي العربي الإسلامي، ورافضة لكل ما هو غربي مسألة جوهرية تطرح في مقدمتها "ابن خلدون" باعتباره أول من دعى لدراسة العديد من الظواهر الاجتماعية، والاجتماع الإنساني، وهو ما أسماه بعلم العمران البشري، وقد شكل الفكر الخلدوني محطات فكرية عديدة لملتقيات وندوات وبحوث ودراسات على المستوى العربي بصفة عامة، ولعل أبرزها في الجزائر "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون" لعبد الله شريط"، و"النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون" لعبد المجيد مزيان".

غير أن توظيف الفكر الخلدوني وتطبيقه على الواقع في محاولة إنتاج معرفة سوسيولوجية محلية لم تكن. "أعتقد أن الربط بين الإشكالية الخلدونية وتطبيقها على المعاصر لم يحدث بعد مع أي مواطن إلا إذا كنت أجانب الصواب من الممكن أن "جورج لبيكا"اقترب من هذا الهدف في آخر إنجازاته حسب رأيي"**(بشير، 2021، ص137)**.

"إن قراءة ابن خلدون تراوحت بين القراءة الاحتفالية والقراءة المقارنة حيث نجد فيها غياب مقاربة حقائق للمجتمعات العربية المعاصرة على ضوء المفاهيم الخلدونية"**(Abdelkader,1980, p207)**

فلم يجد ابن خلدون في العالم العربي امتدادا علميا يليق بمستواه العلمي والمعرفي الذي كان ربما كفيلا بإنتاج معرفة علمية حول المجتمعات العربية كما فعل هو حول مجتمعه في عصره. لم يقم الباحثون العرب إلا بترديد بصور وطرق مختلفة ما كان يقوله**(Guérid, 2013, p207)**

لتبين في نهاية المطاف أن العلاقة بابن خلدون في العالم العربي هي علاقة بالغرب عبر ابن خلدون، وهي في ذات الوقت اعتراف ضمني على نحو مفارق، أن هذا الغرب يبقى وحده هو المرجعية الوحيدة(IBID p207)

وفي هذا الإطار يرى "علي الكنز" أنه بإمكاننا تصدير مفاهيمنا نحن أيضا كي توطن في المجتمعات الغربية إذ يعد مفهوم العصبية عند ابن خلدون وجيها لدراسة ما يمكن تسميته بفكر الجماعة l'esprit communautaire بالمعنى الذي منحه إياه "تونياس". أعتقد يقول "على الكنز" أن "بيار بورديو" لو كان على علم عندما أصدر أول أعماله حول الجزائر بهذا المفهوم لكان قد ساعده كثيرا إنه ليس بالملكة l'habitus فهو موجود بين الملكة وأيطوس (l'éthos**ابشير، 2018، ص 176).**

المحاضرة الرابعة

السوسيو-أنثروبولوجيا وبناء الموضوع المحلي

1-طبيعة الأنثروبولوجيا في الجزائر

2-تعريف السوسيو-أنثروبولوجيا

3-إشكالية السوسيو-أنثروبولوجيا في الجزائر

1-طبيعة الأنثروبولوجيا في الجزائر

وُصفت الأنثروبولوجيا غداة الاستقلال بعلم المستعمر، لاقترانها بالتوجه الاستعماري في دراساتها وأهدافها وخططها، فقد وجدت الأنثروبولوجيا نفسها في خدمة الأهداف الاستعمارية من حيث طبيعة الدراسات وأهدافها، "فهم تركيبة وثقافة المجتمعات"، ولهذا نجد أن الدراسات الأولى سواءً في المجال السوسيولوجي أو الأنثروبولوجي خلال الحقبة الاستعمارية قد ارتبطت بالتوجه الكولونيالي، وبالإدارة الاستعمارية، بغرض التعرف أكثر على عادات وتقاليد وأعراف المجتمع الجزائري. "لقد سخر علم الأنثروبولوجيا الاستعماري لتنفيذ سياسته المتمثلة في زرع بذور الفتنة والحقد والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد"**(معتوق، 2004، ص81).**

وهو ما دفع بالأنثروبولوجية الشهيرة "فاني كولونا"**Fanny colonna**للقول بغربلة وتدقيق هذه الدراسات.

إلا أنه سرعان ما تغيرت النظرة، بإدراجها في مركز البحث في الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والاثنولوجيا CRAPE في السبعينات، ثم تأسيس وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية URASC 1983-1984 كرد الاعتبار للأنثروبولوجيا التي اعتبرت كعلم استعماري،ومؤسس للدراسات الأنثروبولوجية الجزائرية بعد الاستقلال،والتي أصبحت مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC بوهران، ليتم إدراجها في جامعات جزائرية فيما بعد، مع أول معهد وطني للثقافة الشعبية بجامعة تلمسان والذي تم إنشاؤه سنة 1981، وفتح أقسام ما بعد التدرج ماجستير-دكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، في كل من قسنطينة ووهران من طرف مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، لتليها خطوات أخرى في عدة مراكز وجامعات عبر التراب الوطني.

ففي جامعة تلمسان بمعهد الثقافة الشعبية، معهد متخصص في تكوين الطلبة في قسم ما بعد التدرج. يعود تاريخ فتح هذا المعهد إلى الثمانينات. وشهدت سنة 1991 أول مناقشة لرسالة الماجستير بهذا المعهد.

جامعة قسنطينة تم فتح تخصص الأنثروبولوجيا بالتعاون مع المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية نهاية سنة 2000.

أما بجامعة وهران السانيا يعود تاريخ فتح تخصص أنثروبولوجيا إلى نهاية 2000، عندما قرر معهد علم الاجتماع فتح قسم ما بعد التدرج في هذا التخصص.

وبالتالي يمكن القول أنهعلى المستوى المؤسساتي بدأت الأمور تتضح أكثر فأكثر في هذا الحقل خلال الثمانينات من القرن العشرين مقارنة بالسبعينات.

2-تعريف السوسيو-أنثروبولوجيا

يعرفها "جاك هامل" على أنها تلك المقاربة الجديدة التي نشأت وطبقت في بداية الأمر في الدراسات التي اهتمت بالعمل...في جميع الدراسات الاجتماعية وبكل تعقيداتها، من خلال محاولة مد الجسور بين علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، حيث يكون الاهتمام بالنسبة للأول هو فهم تعقيد الظواهر الاجتماعية ...بينما تهتم الثانية بتفسير الظواهر على المستوى المحلي

(حسان، 2021، ص227).

في حين "يذكر "بيار بوفيه" أن السوسيو-أنثروبولوجيا ظهرت في الواقع استجابة ل: "تعددية" أبعاد الحياة الاجتماعية. وهو الأمر الذي ينعكس في شكل تعدد للمواضيع المؤدية بدورها إلى تعدد مجالات الدراسة في العلوم

الاجتماعية والإنسانية وأيضا إلى تعدد الأشكال التي تتجلى من خلالها تلك الأبعاد والمواضيع"**(المرجع نفسه، ص228).**

أما بالنسبة ل"جان-بيار أوليفيه دو ساردان" فإن السوسيو-أنثروبولوجيا هي الدراسة الإمبريقية "التجريبية" متعددة الأبعاد للمجموعات الاجتماعية المعاصرة وتفاعلاتها في إطار منظور زمني والتي يجمع فيها تحليل الممارسات والتصورات**(المرجع نفسه، ص229)**

وبالتالي تعتبر السوسيو-أنثروبولوجيا مقاربة بحثية متعددة الأبعاد، تحاول الربط والجمع بين علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، بين الجانب الاجتماعي والثقافي.

3-ظروف نشأة السوسيو-أنثروبولوجيا:

تعود بدايات التقارب بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى ثلاثينات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان للتطور الكبير للأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية على حد تعبير "دونيس كوش" Denys Cucheتأثير كبير على جزء من علم الاجتماع وهو التقارب الذي أدى إلى قيام الأول باستعارة أساليب ومناهج الأنثروبولوجيا واستعارة الثانية من علم الاجتماع لميادين دراسته "**(المرجع نفسه، ص233)**

كما يرجع الكثير من الباحثين هذا التقارب إلىأعمال مدرسة شيكاغوالتي كانت تعتمد على منهج الأنثروبولوجيا المتمثل في الملاحظة بالمشاركة، للوقوف على مختلف المشكلات الاجتماعية التي كانت تعاني منها المنطقة الصناعية في مدينة شيكاغوآنذاك.

في حين يرجع البعض الآَخر هذا التقارب إلى الأزمات التي عرفتها المجتمعات الغربية، وما تطلبته من مقاربات متعددة التخصصات في الدراسة، وتجاوز أزمة الموضوع والمنهج في التخصصين.

4-إشكالية السوسيو-أنثروبولوجيا في الجزائر

إن ما يُقال على طبيعة وواقع الأنثروبولوجيا في الجزائر ينطبق على ما هو عليه علم الاجتماع اليوم، إلا أن طبيعة الاهتمام بهاذين الحقلين تختلف، فلم تحظى الأنثروبولوجيا بنفس الاهتمام الذي حظي به علم الاجتماع خاصة غداة الاستقلال. "وبقيت كامنة لا تظهر إلا في مقاربات ثقافية لدراسة الظواهر السوسيولوجية"**(مولاي، 2002، ص22)**.

لقد أُثيرت مسألة أو فكرة السوسيو-أنثروبولوجيا في الجزائر على لسان العديد من الباحثين، فيما إذا كان هاذين العلمين "السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا" فرعين مختلفين أو بإمكانهما الذوبان في بعضهما البعض. فهناك من ينظر إلى هاذين الحقلين باعتبارهما علمان مستقلان ومنفصلان عن بعضهما البعض، بينما ينظر الطرف الثاني إلى إمكانية التقارب والاندماج والتداخل، سواءً من حيث الموضوع أو المنهج**(أنظر حسان، 2021)**.

"ولكن، وعلى الرغم من ذلك، فإن الوضع لم يعد بهذا الخصوص كما كان عليه، فالتعارض بين التخصصين لم يعد مطروحا بالشكل الذي كان سائدا".

...وأصبح العلماء يعتبرون هذه المصطلحات المقسمة للتخصصين من بقايا الماضي الاستعماري التي عفا عليها الزمن**(المرجع نفسه، ص226)**.

إن التقارب بين علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا كان بداية من فترة الثمانينات وتعزز أكثر في فترة التسعينات، مع بداية اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بالمجتمعات المعاصرة، وضرورة فهم الحياة الاجتماعية في إطار البعد الاجتماعي والثقافي.

وهكذا إذن، وفي نفس الوقت الذي حدثت فيه تحولات بهذا الشأن في كل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، كما يلاحظ "نيكولا دوديه" والتي تغذت من التداخلات التي تمت بين التخصصين، التقى الكثير من علماء

الأنثروبولوجيا والاجتماع، وفق نماذج ما فتئت تتطور من حلقة إلى أخرى، وهو ما أدى إلى ظهور ما بات يعرف بحقل "السوسيو-أنثروبولوجيا.**(المرجع نفسه، ص222)**.

"يرى الكثيرون بأن حقل البحث السوسيو-أنثروبولوجي قد برز بشكل واضح خلال الثمانينات من القرن الماضي، بعد أن استمد مؤسسوه من الأنثروبولوجيين موضوعاتهم بكل جرأة من التخصصات القريبة مثل علم الاجتماع والعلوم السياسية.**(حسان، 2021، ص225)**.

ويمكن الإشارة بخصوص هذا التوجه الجديد إلى كل من "عادل فوزي" و"عبد القادر لقجع" حين قالا: "أنه من الضروري حين نرسم سبل البحث الأنثروبولوجي في الجزائر التعبير ليس فقط عن خصوصية الموضوع بل أيضا عن خصوصية الطريقة العلمية، إذ لكل مجتمع معاييره الخاصة لتأويل الواقع الذي على الأنثروبولوجيا الامتثال له"**(بشير، 2017)**.
في حين اعتبرت "كلودين شولي" أن علماء الاجتماع في الجزائر قد استوعبوا ضرورة القيام لمقاربة تفهمية، والعمل المتعدد التخصصات، وهنا كانت التساؤلات من طرف الكثير حول السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا اللتان تشكلان تخصصين مختلفين وتمكنا من الذوبان في بعضهما البعض من خلال المقاربة السوسيو-أنثربولوجية" **(Claudine, 2008)**.

لقد ارتبطت أزمة علم الاجتماع بإشكالات إبيستيمية، إذ تدخل هذه الحركة العالمية، الجهوية والجزائرية في إطار المنعرج الحاسم للانتقال بالسوسيولوجيا إلى الأنثروبولوجيا.
لقد أنارنا "جمال غريد" بخصوص هذه الحركة العالمية حسب "محمد مدني "في بعض جوانبها "يقتضي هذا الحقل من المعرفة هاجسا علميا يكون خارج النظرة المعتادة التي تختزله في المعارف العلمية "الوضعية" ليس إلا.

وبالتالي نحن مطالبون بهذا العمل الجبار شريطة الالتزام بدمج أعمالنا فيما نادى به بعض علماء الاجتماع في الجزائر وعلى رأسهم "جمال غريد""قد يعني هذا التحول في التوجه نداء لجميع المشتغلين في علم الاجتماع بالجزائر كي يؤخذ بعين الاعتبار مما يدفعنا إلى التأكيد بقوة على محدودية بل على الطريق شبه المسدود لعلم الاجتماع وخاصة بإشكالياته القائمة والمهيمنة. إنه نداء للأنثروبولوجيا على شكل نجدة قد تضع قطيعة نوعية مع ما هو مألوف"**(بشير، 2017، ص17)**.

ولكن لا يمكن تعدي هذه النظرة إلا بالاستناد إلى البحث الدقيق للمعرفة "الأهلية "أو "المحلية "التي أصبح تدوينه ونشره أمرا في غاية الأهمية؛ لذا من الضروري ربط نمو مجتمعات الجنوب بتثمين مواردها اللّامادية "التنمية البشرية". وفي هذا الإطار، تظهر أن مسألة تدوين المعارف المسماة أيضا "بالمعارف الضمنية"، مسألة مركزية من هنا يرسم لنا عالم الاجتماع والأنثروبولوجي الجزائري نضالا آخر،**(Madani.p.p19-20)**

ويمكن التأكيد مرة أخرى مع محمد بوطالب حين قال أن علم الاجتماع عاجز عن تفسير الظواهر المجتمعية إن لم يقترن بالأنثروبولوجيا والتاريخ"هنا تبرز الحاجة إلى علم الاجتماع مقرونا بالأنثروبولوجيا لتفسير أسباب وخلفيات بعض التفاعلات والصراعات"**بوطالب. علم الاجتماع عاجز عن تفسير الظواهر المجتمعية إن لم يقترن بالأنثروبولوجيا. (diae_net/29972).**

المحاضرة الخامسة

الابستمولوجيا وعلم الاجتماع في الوطن العربي

1–مفهوم الابستيمولوجيا

2–الابستيمولوجيا وعلم الاجتماع

3–نحو مأسسة علم الاجتماع في العالم العربي

1-الابستمولوجيا:قراءة في المفهوم:[1]

إن مصطلح الابستمولوجيا épistémologie في اللغة الفرنسية[2] مركب من الكلمة اليونانيةépistèmeالتي تعني "العلم" أو المعرفة العلمية، واللفظlogosالذي يعني في أصله اليوناني" logosنظرية" أو "دراسة نقدية". وعليه فإن لفظ إبستمولوجيا في أصله الاشتقاقي "نظرية العلم" أو "نظرية المعرفة العلمية."

في حين يعرفها اندريه لالاند بقوله تدل هذه الكلمة على فلسفة العلوم، لكن بمعنى أدق، فهي ليست حقا دراسة المناهج العلمية، (...) هي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضيَّتها ونتائجها الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي، وقيمتها ومداها الموضوعي**(أندريه، 2001ص356).**

إذن نجد "لالاند" يحصر مهمة الابستمولوجيا في البحث والتقصي عن المبادئ والأسس العامة التي تقوم عليها العلوم على اختلافها، والنّظر في صحة الفرضيات التي تجعلها شرطا من أجل استخلاص نتائجها، فهي بهذا حسبه دراسة نقدية تؤكد صحة النتائج وأهميتها، أي البحث في مدى موضوعتيها وقيمتها العلمية.

فهي ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم، لأنّ هذه الدراسة موضوع للميتودلوجيا وهي جزء من المنطق، كما أنها ليست أيضا تركيبا أو توقعا حدسياً للقوانين العلمية (على الطريقة الوضعية) إنها بصفة جوهرية الدراسة النقدية لمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية، والدراسة الهادفة الى بيان أصلها (المنطقي لا النّفسي) وقيمتها الموضوعية، وينبغي أن نميّز الابستمولوجيا عن نظرية المعرفة، بالرغم من انّها تمهيداً لها وعمل

---

[1]وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين: إبيستيمي épistème ومعناها: علم scienceولوغوس logosجاءت في معجم لاروس بمعنى منطق-نقد-علم-دراسة-نظرية-مقالة... الخ. و عليه فكلمة ابستمولوجيا تعنيمن حيث الاشتقاق اللغوي إلى مقالة في العلم ينظر:La rousse dictionnaire encyclopédique، librairie la rousse ، paris volume 13,1979, p : (501).

[2]استخدام مصطلح الابستمولوجيا لأول مرة في المعجم الفرنسي Larousse ippustreسنة 1906.

مساعد لا غنى عنه، من حيث أنها تدرس المعرفة بتفصيل وبكيفية بعدية في معنى العلوم والموضوعات لا في وحدة الفكر**(محمد، 1983، صص6-7).**

وبالرجوع إلى أصل المصطلح يوضح الكثير من الاستفهامات فالابستيمي عند اليونان لا يخرج عن ميدان المعرفة أو العلم، باعتبارهما مفهومان مترادفان(...) فالأصل في المصطلح يعطي الانجليز الاسبقية في التّوظيف على الفرنسين وذلك أن الابستمولوجيا أمر يتعلق بالمعرفة بصفة عامة وليس بدلالة العلم، فالفرنسين بصفة عامة يفصلون بين مصطلح الابستمولوجيا ونظرية المعرفة، أما الانجلوساكسون فهم يقصدون بهذا المصطلح نظرية المعرفة على اعتبار أنها تبحث في حدود المعرفة وشروطها ومصادرها، وهذا ما نجده عند الالمان والإيطاليين وعرب المشرق، وهذا ما يوضح صعوبة تحديد معنى المصلح**(عبد الله، واَخر، ص154).**

إن مهمة الابستمولوجيا حسب "غاستون باشلار" [3]متابعة أثر المعارف العلمية في بنية الفكر، وهذا في التّحديد يتضمن مفهوما للفكر مخالفا لما تقول به الفلسفات الكلاسيكية الكبرى التي تعتقد ان الفكر ثابت، كما يرى باشلار أن مهمة الابستمولوجي يمكن أن تكون هي التّحليل النّفسي للمعرفة الموضوعية، تحليل نفسي موضوعه لا شعور الباحث العلمي، وهدفه اكتشاف جملة العوائق التي تعوق عملية المعرفة والتي يسميها باشلار بالعوائق الابستمولوجية.[4]

---

[3]گاستون باشلار Gaston Bachelard واحداً من أهم الفلاسفة الفرنسيين، وهناك من يقول أنه أعظم فيلسوف 1884-1962 ظاهري وربما أكثرهم عصرية أيضاً. فقد كرّس جزءاً كبيراً من حياته وعمله لفلسفة العلوم، وقدّمَ أفكاراً متميزة في مجال الابستمولوجيا حيث تمثل مفاهيمه في العقبة المعرفية والقطيعة المعرفية والجدلية المعرفية والتاريخ التراجعي، مساهمات لا يمكن تجاوزها بل تركت آثارها واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاء بعده .

أما بياجيه[5] فانّه يجعل من مهمة الابستمولوجيا البحث في تطور المفاهيم العلمية، بحيث تكون الابستمولوجيا صلة بين علم النّفس التّطوري والابستمولوجيا العامة، التي تود اغناءها باعتبارها منهج التطور، وهذا الاعتبار يؤدي ببياجيه الى اعتبار الابستمولوجيا علمًا لا فلسفة**(محمد، 1983، ص13).**

2-الإبستمولوجياوعلم الاجتماع

الابستمولوجياوعلم الاجتماع أو علم الاجتماع المعرفي الناتج عن اندماج الابستيمولوجيا وعلم الاجتماع، والذي "يعني سيرورة تشكل المعرفة العلمية باعتماد طريقة تتمثل في الدراسة النقدية"**(عنصر، 1999، ص125)**،أي توضيح الظروف الاجتماعية الواقعية وعلاقتها بالمعرفة العلمية، يبحث هذا التخصص في نشأة العلم ومقارباته وتفسيراته للواقع ضمن دراسة نقدية، وذلك من خلال التركيز على العلاقة بين المعرفة والواقع الاجتماعي، أي توضيح الظروف الاجتماعية الواقعية في مساهمة وتكوين حقل السوسيولوجيا.

"إن هذا الفرع السوسيولوجي يبحث في التطلع على المسائل المعرفية التي تعكس المشاكل التي تواجهها المجموعات الاجتماعية، وإلى إظهار كيف أن البنية الاجتماعية تحدد إلى حد ما ببنية التفكير"**(بشير، 1994، ص10)**، ويعد كارل منهايم من أهم علماء الاجتماع الذين اهتموا بهذا الحقل، حيث ربط بين المعرفة والواقع الاجتماعي ويعرف هذا الفرع بأنه "العلم الذي يهتم بنظرية الظروف الاجتماعية والمحيطية المؤثرة في الفكر**(محمد الحسن، 2005، ص300)**، أي هناك علاقة بين الفكر والبناء الاجتماعي الذي يساهم في بلورته وتكوينه.

---

[5] بياجيه:جان بياجيه، واسمه باللغة الفرنسية Jean Piaget هو فيلسوف فرنسي وعالم نفس، ولد في 9 أغسطس 1896،وتوفي 16 سبتمبر 198، وهو الابنالأكبر لآرثربياجيه سويسري الجنسية وأمه ريبيكا جاكسون فرنسية الجنسية، وقد قام جان بياجيه بتطوير نظرية التطور المعرفي عند الأطفال أو ما يطلق عليه الآن بعلم المعرفة الوراثية.
في عام 1965 قام بإنشاء مركز نظرية المعرفة الوراثية في جنيف وقام برئاسته حتى توفي في عام 1980. يعتبر بياجيه رائد المدرسة البنائية في علم النفس.

وقد ظهر هذا التخصص حديثا في ألمانيا خلال القرن التاسع عشر، على يد كل من عالمي الاجتماع "ماكس شيلر"Max Scheler و "كارل مانهايم"Karl Mannheim، محاولين بذلك بحث وربط العلاقة بين الفكر والمجتمع، والكشف عن العوائق التي تقف أمام تقدم المعرفة.

فعلم الاجتماع المعرفي إذن هو فرع إبستيمولوجي يهتم بالمعرفة الاجتماعية في علاقتها بالمجتمع كفاعل أساسي في إنتاجها، أي مختلف العوامل التي تدخل في تشكيل المعرفة الاجتماعية.

ويحدد كارل مانهايم علم الاجتماع المعرفي "فرع من أحدث فروع السوسيولوجيا، ويمكن اعتبارها نظرية من جانب، وبحثا تاريخيا سوسيولوجيا من جانب ثاني. وهي بصفتها نظرية تحاول أن تحلل العلاقة بين المعرفة والوجود، لكنها بصفتها بحثا تاريخيا سوسيولوجيا تحاول أن تتعقب الأشكال التي اتخذتها هذه العلاقة خلال التطور الفكري للبشرية"**(مانهايم. 1980.ص309) .**

ولهذا يقتضي تقييم أي إنجاز علمي من الناحية الابستمولوجية مساءلته على قدرته في تأسيسه لمعرفة خصوصية أو على الأقل حول مساهمته في العملية العلمية التراكمية بصفته حلقة في صيرورة معرفية. ولكن نعتقد أنه من الضروري ألا يتم هذا التقييم على أساس النظر في إنتاج المعرفة في حد ذاتها لأن الوجاهة العلمية تتمثل في طرح السؤال لا في النتائج اليقينية**(معتوق، 2017، ص67).**

"لقد لاحظ جمال غريد، بحكم تجربته في البحث، أن بعض المفاهيم تلعب دور العائق الابيستيمولوجي، فهي بدلا من أن تساعد على توضيح الأمور تعمل على تعتيمها. يتعلق الأمر إذن بالمفاهيم والنظريات...ومن أمثلة هذه المفاهيم الذي وجد الباحث صعوبة في توظيفها في البيئة الاجتماعية

بمكوناتها المتعددة والمتنوعة: مفاهيم التحديث والحداثة، الديموقراطية، التنمية، الدين، المدينة...**(مصطفى، 2017، ص105)**.

3-نحو مأسسة علم الاجتماع في العالم العربي

3-1 إشكالية المفاهيم والمقاربات الغربية بين التبني والرفض

لقد أسالت إشكالية المفاهيم المنتجة في الغرب وتطبيقها على الواقع العربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة حبرا كبيرا، بين قدرتها على فهم وتفسير الواقع الاجتماعي من عدمه، بين درجة قابلية النسخ ومدى قدراتها على فهم الواقع، لهذا نجد أغلب المواقف توافق الرأي باعتبار الكونية الأوربية من أهم الإشكالات الابستمولوجية القائمة، لعدم تلبية حاجاتنا ومعرفة مجتمعنا معرفة دقيقة، ذلك ما يؤكده غولدنر "ومن الطبيعي على هذا النحو أن يشكل اتساع الفجوة بين طبيعة التنظير وحالة الواقع أحد أبعاد الأزمة التي تواجه علم الاجتماع"**(غولدنر، 2004، ص31)**.في مقابل الإشكال العملي،أي إشكالية المفاهيم والمقارباتالغربية باعتبارها منتج اجتماعي ترتبط بخصوصية وثقافة المجتمع الذي أنتجت فيه، غير كافية لتفسير الوضعية التي هو عليها علم الاجتماع في الجزائر والعالم العربي، لأن المشكل ليس في إعادة نسخ المفاهيم، وإنما في عدم التحكم فيها. بمعنى أن المشكل ليس إبيستيمي فقط بل عملي أيضا.

وفي هذا الإطار نجد جمال غريد يقول "لكن هذه الظاهرة ليست فريدة من نوعها وربما تسهل معالجتها إن نحن قربناها من ظواهر شبيهة كمسألة التصنيع وظاهرة المؤسسة وظاهرة البيروقراطية وغيرها فهذه الظواهر جميعا تشترك في كونها ظواهر أنتجها التاريخ الأوروبي واستوردها المجتمع العربي وزرعا زرعا"**(غريد، 2004، ص69)**

وبالتالي فتطبيق المفاهيم المنتجة في الغرب على الواقع العربي ليست بإشكالية بل هي اختيار منهجي وشخصي للباحث ذلك ما أكده فيليب كابان

" ليست السوسيولوجيا علما موحدا فهي منذ بدايتها في سجال، وموزعة في العديد من البؤر، وتاريخها هو تاريخ الأفراد والاستراتيجيات والموروث والمؤسسات"**(كابان. وآخر.2010. ص12)**. كما نجد أن "مالك بن نبي حينما قرر أنه ليس أوهن ولا أضعف من أن نرفض الاستنارة بتجارب الآخرين والاستفادة من جهودهم، شريطة أن نرد الحل المستعار إلى أصول البعد المستعيرة"**(بن نبي، ص.ص28-29).**أي الإبداع في هذا المجال من خلال ربط وتكييف ما أنتج بعيدا عنا بواقعنا، ذلك ما أكده العديد من الباحثين المحليين من بينهم الأستاذ بشير محمد "لا يمكن لنا أن نتفادى الحلقة الوسطى... الإبداع في المعرفة يكون بمحورة كل ما هو دخيل عنا حسب خصوصياتنا، وهو ما أسماه بمسألة التأسيس العلمي"**(بشير، 2016).**

إن الحديث عن محاولة تأسيس علم اجتماع عربي أو محلي انطلق من الواقع الذي آل إليه، أزمة، ارتباك، تقهقر، غياب، عدم وجود...ولهذا يمكن القول علم الاجتماع في العالم العربي موجود، ما دام أنه موجود كفرع مستقل بذاته في الجامعة، وبوجود برامجومدرسين،أما الحديث عن علم اجتماع عربي شيء آخر.

وبالتالي صُورت هذه الإشكالية في شكل غياب لعلم اجتماع عربي، أو في انحياز علماء العلوم الاجتماعية إلى النظريات الغربية التي انبثقت وتطورت وتشكلت في ظروف تاريخية واجتماعية مخالفة لظروفنا"**(محمد كمير، 1989، ص91)**.

فالتأسيس الابستمولوجي للمعرفة والأحداث الاجتماعية، وعلم الاجتماع بصفة خاصة يكون حسب عنصر العياشي من خلال "الاندماج في المجتمع لتطوير مفاهيم ومقولات من صميم المجتمع، الاستفادة من الإرث الغربي من خلال نقده وتكييفه مع الواقع المجتمعي، والدعوة إلى استعادة

الفكر السوسيولوجي الموروث مثلما طوره ابن خلدون"**(عنصر، 1999، ص102) .**

معهد الآداب واللغات
المجلس العلمي للمعهد

المحاضرة السادسة

الأعمال الإمبريقية الكبرى في السوسيولوجيا المحلية

1-السوسيولوجيا الغربية والواقع المحلي

2-أهم الاسهامات في السوسيولوجيا المحلية

3-نماذج عن بعض الأعمال المحلية

1-واقع السوسيولوجيا في الجزائر وأهم الإسهامات

لقد وُجدت السوسيولوجيا في الجزائر بما أنتجته وحققته الدراسات الكولونيالية، وليس بما أنتجه الواقع الاجتماعي، أي أنها كانت وليدة ظروف معينة تخدم مصالح المستعمر، وهذا ما جعلها تأخذ مسارات مختلفة غداة الاستقلال، محاولة بذلك الارتباط والاهتمام بالمجتمع وقضاياه المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية، ذلك ما أكدت عليه مجلة الجامعة: "... وبالفعل فإننا نلاحظ بأن الصورة التي تنظر من خلالها الشعوب النامية إلى نفسها ليست ظاهرة من الظواهر الأصلية لثقافتها. لقد اتخذت بأوسع معانيها ولكنها عبارة عن إبداع منقول ومرفوض يمثل أحد مظاهر السيطرة الخارجية الحالية أو الماضية ... إن عالم الاجتماع الذي يحلل مجتمعه من خلال تقريب بسيط للمخطوطات المنقولة سيرفض بوعي التشخص في شعبه، كما أن شعبه لا يمكنه أن يتشخص فيه..."**(بن يحي، 1975، ص 21)**لذا نتساءل مع عبد القادر جغلول من خلال قراءته من طرف عبد القادر لقجع "يمكن تلخيص التساؤل الذي يظهر أنه راود عبد القادر جغلول طوال مساره الطويل كمثقف: هو إلى أي مدى يمكن لمجتمع متميز بكائن ثقافي ذي بعد ديني أساسا عرقلة تأسيس سوسيولوجيا ذات المعرفة المتميزة بالطابع العلماني"؟**(Djeghloul ., 2015,p227)**

إن المتتبع لمسيرة السوسيولوجيا في الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، يلاحظ أنها تطورت ضمن سياقات مختلفة، أمام الديناميكية الكبيرة التي عاشها المجتمع الجزائري. لهذا نجد موضوع السوسيولوجيا في الجزائر عرف مواقف مختلفة ميزت نظرة المشتغلين بها من جهة، ومن جهة أخرى نظرة الدولة الجزائرية بمختلف المشاريع الاجتماعية والسياسية التي تبنتها في فترات مختلفة.

لقد تميز تطور النظام السياسي والاقتصادي في الجزائر بفترتين مهمتين، الفترة الأولى: من بداية السبعينات إلى غاية الثمانينات ذات الطابع التنموي، فترة مسايرة للنخب السياسية بمشروعها السياسي الحداثي، برزت فيها سوسيولوجيا تميزت بطابعها النضالي التنموي، أين كان التساؤل عن تطور الخطاب السائد لعلم الاجتماع في الجزائر، ثم الفترة الثانية ما بعد الثمانينات وهي عكس الأولى تميزت بالطابع النقدي، وصفت فيها السوسيولوجيا بصفات منها: الفشل، الحيرة، الارتباك، الأزمة، والانسداد...أين أصبح الاتجاه في هذه المرحلة نحو الثقافة والهوية تزامنا مع فترة التعريب والجزأرة بحجة استرجاع هوية المجتمع والثقافة العربية الإسلامية.

إذن فترتين مهمتين أخذت فيهما السوسيولوجيا مواقعا وأدوارا مختلفة باختلاف المفاهيم والمقاربات وطبيعة العلاقة بين السوسيولوجيا والمجتمع، وفي ظل هذه الوضعية أخذ موضوع السوسيولوجيا تساؤلات عديدة، عن وضعية هذا العلم وعن مستقبله وعما أنجزه علماؤه وعن حيرة جيل بأكمله من علماء الاجتماع، وعن الاستراتيجيات البحثية، البرادغمات، المقاربات والمفاهيم التي جاءت وليدة واقع مختلف، وعن الأسس النظرية القادرة على تحليل أسباب الفشل والفائدة من هذا الإنتاج السوسيولوجي إن لم يكن مسخرا لفهم المجتمع، وهل المسؤول عن هذا الفشل علماء الاجتماع، أم ضعف الطلب الاجتماعي، أم افتقار السوسيولوجيا للاعتراف الرسمي والاجتماعي، أم ماذا؟ وفي هذا الإطار نجد بشير محمد يوجز أهم ما خلص إليه علماء الاجتماع فيما يلي:

" فشل السوسيولوجيا وحيرة علماء الاجتماع، سوسيولوجيا تنظر إلى الغرب، سوسيولوجيا لا شرعية بدون حماس وبدون رهانات، التدريس المستلب للسوسيولوجيا **(بشير،2008، ص45)**.

أسئلة مهمة وعديدة اتخذ علماء الاجتماع منها مواقف مختلفة:

فنجد "عبد القادر لقجع" في حصيلته للسوسيولوجيا في جزائر ما بعد الاستعمار يقف عند كل مرحلة من مراحلها الأربع الكبرى 1974-1984-1986-1997 ويحلل مسيرتها بخضوعها واتباعها للحقل السياسي، أي أن السلطة السياسية فرضت نفسها منذ البدايات الأولى للاستقلال كفاعلة وحيدة ومكلفة بتنمية البلد.

وأن الفكرة السائدة هي أن علماء الاجتماع أنفسهم يعترفون بخطئهم في اختيار مخاطبيهم، فالمجتمع يتغير بسرعة وبعيدا عن أنظار علماء الاجتماع. وأن السوسيولوجيا لم تتمكن أبدا من استرداد نزعتها النقدية، أي سوسيولوجيا لم تظهر قط للوجود.

ليتحدث عن تجميد السوسيولوجيا في الجزائر في النماذج الابستمولوجية للسبعينات، في الوقت الذي كان فيه المجتمع يتغير وفي تغيره يطرح مشاكل جديدة على سوسيولوجيا بحاجة إلى فهم وتأويل، هذا الاهتمام بالفهم أدى إلى إعطاء الكلمة للسوسيولوجيا الميدانية في نهاية السبعينات أي التحقيق هو الذي يعطي الحق، ليتم الانتقال فيما بعد من الدراسات الكمية إلى التقنيات النوعية لممارسة وتدريس سوسيولوجيا تكون في الاستماع إلى ما يحيط بها، أي فسح المجال للمجتمع حتى يأخذ الكلمة.

ومن ناحية المرجعيات النظرية فإن المجتمع يُدرس حسبه كما كان الحال في العهد الاستعماري أي بواسطة مقولات غربية أنتجت لحقول أخرى: سوسيولوجيا مشهدية تبحث إيديولوجيا عن مجتمع لا وجود له أصلا، وهنا نوجز أهم تساؤل طرحه وهو: كيف يمكننا إذن أن نفهم لماذا بقيت كل المعاينات التي أثبتها علماء الاجتماع أنفسهم حول علمهم وممارستهم له منذ ربع قرن أو يزيد بدون تأثير على علماء الاجتماع وعلى علم الاجتماع في الجزائر؟**(لقجع، 2004)**.

أما "غريد جمال" نلخص موقفه بعبارته الشهيرة "إن أشد ما نفتقر إليه نحن علماء الاجتماع العرب هو علم الاجتماع ذاته، فما هو قائم هو علم

اجتماع لا مجتمع له ومجتمع لا زال ينتظر علم اجتماعه، فعملية زرع السوسيولوجيا في الجسم الاجتماعي على الأقل نتائجها الأكيدة لم تظهر بعد وقد طال انتظارها"**(غريد، 2004، ص67).**

في حين نجد "حسن رمعون" يتطرق للتطبيق التجريبي للعلوم الاجتماعية وخاصة في علاقتها بالحاكم ولأغراض الحكم، وذلك من خلال ازدواجية تتمثل في تخصصات البناء والتنمية والتي يوجد ضمنها علم الاجتماع، وتخصصات الوظيفة الإيديولوجية:التيار التكنوقراطي وتيار الإيديولوجيا الشعبوية ليسعى كل منهما نحو السيطرة على المجتمع**(رمعون، 2014)**.

أما "كلودين شولي" ترى هي الأخرى تأخر علماء الاجتماع الجزائريين أمام التحولات المجتمعية، وأنهم لم يؤدوا الدور الريادي في مرحلة الأزمة، فعلماء الاجتماع غير مسلحين كما يجب للتصدي لما يجري أمام أعينهم من وقائع، وهذا من شأنه أن يسحب عليهم تهمة التخلي عن ساحة الصراعات أوالوقوف موقف المتأخر عن تحولات المجتمع، إذ لم تبرز سوسيولوجيا كفيلة لفهم التغيرات السريعة التي عاشها المجتمع، وهنا نورد عبارتها الشهيرة في الملتقى الدولي الأول بوهران حول العلوم الاجتماعية "لقد أخطأنا في اختيار من نتوجه إليهم"**(Chaulet,1984,p222)**[6] par ce … que nous nous sommes trompées d'interlocuteurs, d'utilisateurs et d'utilité ». كما ترى تأثر الموجة الأولى من الأساتذة السوسيولوجيين بالماركسية أو البنيوية الماركسية لبورديو، ومن بعدها بدأ الاتجاه نحو المقاربات الثقافوية**(IBID,p76)**.

أما "العياشي عنصر" نجده يفضل مصطلح غياب علم الاجتماع بدل مصطلح أزمة إذ يُرجع الوضعية التي آل إليها علم الاجتماع إلى ثلاثة عناصر: سيطرة السياسي على العلمي، عدوانية المجتمع وانغلاقه، ضعف منظومة التكوين. كما تحدّث عن تأرجح علم الاجتماع في الجزائر بين

نزعتين متعارضتين: تبني مقاربات نظرية ومفاهيم غربية واستخدامها كقوالب جاهزة من جهة، ومن جهة ثانية سيادة مقاربات سطحية عاجزة عن التجربة الحسية وعالم المعرفة العامية، هذه الثنائية المتناقضة تقف عائقا أمام تأسيس فكر اجتماعي أصيل قادر على فهم التحولات في المجتمع. وباختصار علم الاجتماع كممارسة علمية كان ولا يزال غائبا حسبه**(عنصر، 1999، ص.ص68-80)**.

أما "علي الكنز" فيقيّم الممارسات السوسيولوجية في الجزائر بتبعيتها للسوسيولوجيا الغربية، هذه التبعية تأخذ شكل التكرار وإعادة الإنتاج التقليدي سواء عن وعي أو بدون وعي، وأن المشكل يكمن في كيفية تعامل علماء الاجتماع مع هذه الأدوات التي تشكل فقر نظري لإنتاجنا، ويعاد تركيبها في إشكاليات مصطنعة لا تتلاءم مع الواقع باستثناء بعض الحالات القليلة**(EL Kenz,1989, p136)**.

في حين نجد "بشير محمد" يتكلم عن مجتمع خيالي في مقابل مجتمع واقعي، حيث اهتمت السوسيولوجيا بدراسة مجتمع غير المجتمع المطالب بدراسته، وأنه ما يلاحظ على علم الاجتماع حتى نهاية الثمانينات كان يقارن إلى حد ما وبخاصة على المستوى النظري بما يجري في الجامعات العالمية، حتى وإن كان بعيدا نسبيا عن اهتمامات المجتمع، ولكن بعد الثمانينات أصبح هذا الاختصاص معربا كليا قريبا من هموم المجتمع بعيدا عن المستوى العالمي تكوينا وبحثا. ويوجز في هذا الإطار أهم المقاربات النظرية والمنهجية في علم الاجتماع في ثلاثة أطروحات: الأطروحة التطورية لتحقيق النموذج التنموي للبلدان المتطورة في مجتمعاتنا بطريقة مختزلة، وهو الطرح الذي تبناه التكنوقراطيون لتطبيق النموذج التنموي ثم الأطروحة الثقافوية الداعية إلى تقسيم المجتمع إلى مجتمعين أحدهما تقليدي مهيمن عليه، والآخر عصري في طريق الهيمنة، ثم الأطروحة

التاريخية التي تركز على تثمين القيم الثقافية التقليدية، أي استعمال العصرنة في إعادة إنتاج التقليد حسب أحمد هني**(بشير، 2008، ص64.)**

في حين يبرز "عبد الناصر جابي" ضعف علاقات النخب الثقافية والعلمية في المجتمع وهو ما أسماه بالانقسامية بين النخب، وضعف دورها في علاقتها بالمجتمع فعلماء الاجتماع حسبه قد تعرضوا للمجتمع بشكل سكوني عوض التعرض له بشكل دينامي**(لقجع، 2004، ص29)**

وفي دراسة ميدانية قام بها زاوي مصطفى "حول السوسيولوجيا في الجزائر" خلص إلى أن السوسيولوجيا أصبحت بعيدة عن القضايا المجتمعية، وأن علم الاجتماعانحصر داخل أسوار الجامعة بعد الاستقلال، وبهذا لم يعد قابلا لأن ينتج علماء اجتماع بقدر ما أصبح منتجا للمشتغلين بالسوسيولوجيا. وفي هذا الصدد أبرز ثلاثة توجهات:

*توجه مقتنع لانتقال السوسيولوجيا من مجتمع متقدم إلى مجتمع متخلف مستقبلا لها.

*توجه رافض لهذه الممارسة السوسيولوجية وابتعادها عما وُجدت عليه.

*وتوجه ديني الذي يرجع فشل علم الاجتماع في تناول قضايا مجتمعية إلى أنه يعتمد على معرفة مستوردة لا تمتلك مفاتيح فهم المجتمعات الإسلامية**(زاوي،2009، ص80).**

استنادا لآراء الباحثين في هذا المجال، فإن إشكالية السوسيولوجيا حسبهم تكمن في تبني البراديغمات والمفاهيم الغربية وكيفية التعامل معها من جهة، وتبعيتها للمشاريع التنموية التي بادرت بها الدولة بعد الاستقلال من جهة أخرى، هذه التبعية المزدوجة جعلت علماء الاجتماع بعيدين ومتأخرين عن تناول قضايا مجتمعهم باستثناء بعص الدراسات القليلة، فقد اعترفوا بإخفاقاتهم وخطئهم في دراساتهم للمجتمع، ولكن بالرغم من

اعترافاتهم هذه إلا أن ذلك لم يُجد نفعا ولم يحرك ساكنا وهو ما نتفق عليه مع الباحث عبد القادر لقجع في تساؤله السالف الذكر.

إضافة إلى هذه التبعية المزدوجة المتفق عليها من طرف الباحثين أنفسهم، نجد بعضا منهم يرجع الوضعية الحالية لعلم الاجتماع إلى أسباب أخرى، كتلك التي أضافها عنصر العياشيضعف منظومة التكوين وانغلاق المجتمع على البحوث الميدانية التي أصبحت لا تجدي نفعا حسبهم، والطلب الاجتماعي الذي كان بناءً على توجهات غير أكاديمية.

وانقسامية النخب الثقافية والعلمية وضعف العلاقات بينها حسب عبد الناصر جابي، هذه الوضعية التي أصبحت تشكل حسب اعتقادنا أكبر مشكل يتمثل في النكران وتجاهل كل ما هو محلي.

ولهذا يمكن القول أن إشكالية نسخ وهيمنة المفاهيم والمقاربات الغربيةأمام ديناميكية المجتمع الجزائري،جعلتها بعيدة عن تناول قضايا ومشاكلالمجتمع وانفصالها عنه، والتي اعتبرتإشكالا إيبيستيمولوجيا،ذلك ما بينه "جمال غريد" كما سبق الذكر من خلال الإشكاليات التالية:"الدخول الأول بواسطة الكونية الأوروبية التي أخذت في الجزائر شكل الوضعية الماركسية الألتوسرية والثاني بواسطة "الخصوصية"، الموقف الذي يرفض قطعا علم الاجتماع الغربي محاولا تأسيس علم جديد انطلاقا من الإرث الثقافي العربي الإسلامي والثالث بواسطة التنمية، أي علم اجتماع التنمية في شكليه الليبيرالي أو التقدمي، الشكلين اللذين ينطويان تحت الطرح التطوري(**Guérid ,2013,p.p191-222**).

يمكن القول بناءً على ما سبق أنالتساؤلات التي انطلقنا منها ظلت مفروضة علينا، إضافة إلى تساؤلات أخرى، فإعادة إنتاج التفكير حول المجتمع الجزائري لم تكن استجابة لما طرحه علماء الاجتماع في فترات سابقة، وهذا راجع إلى:

التنظير: فأزمة علم الاجتماع لا زالت ترتبط بإشكالات إبيستيمية، إلا أن المشكل لم يعد إبيستيمي بالدرجة الأولى، بل عملي أكثر منه، وهنا يمكن الاستناد إلى مقولة سعد الدين إبراهيم "يمكن افتراض أن أكثر العوامل أهمية من زاوية التأثير في مسيرة العلم هي تلك العوامل النابعة من بنية مؤسسة العلم، فتضاعف أهمية العوامل التي سميتها عوامل تابعة في بنية العلم إذا وضعنا في الاعتبار أن تغيير مسيرة العلم لا بد من أن تبدأ من داخل مؤسسته وليس من خارجها، وبممارسات المشتغلين داخل هذه المؤسسة وليس بممارسات غيرهم"**(عبد المعطي، 1986، ص372).**

فالجامعة الجزائرية تبني معارفها بعيدة عن واقع المجتمع وهمومه ومشاكله، فمن جهة نجد أن المنظومة الجامعية تعاني من إشكاليات عديدة داخلية وخارجية، منها ما يرتبط بالمشتغلين بهذا العلم، والذي ينعكس على الطلبة، "اغتراب هؤلاء المشتغلين بالعلم عما ينتجونه ويمارسونه، فهم ينتقدون التبعية مع أنهم من ناقليها، وهم يعزون التبعية إلى غياب النقد"**(عبد المعطي، 1986، ص)374.**

وقد اتخذت هذه التبعية صورا مختلفة، ومنها ما يرتبط بالمؤسسة الجامعية ككل، ففي ظل غياب آليات تفعل ثقافة البحث العلمي والاستفادة منه، أصبح هذا العلم بعيدا عن هموم المجتمع، وبالمقابل إعادة إنتاج بعيدة هي الأخرى عن إيقاع التحولات التي يعيشها المجتمع الجزائري، "الإشكال الأساسي ليس في عجز السوسيولوجيين عن الإنتاج المعرفي، لكنه يكمن في غياب طلب السوسيولوجية من المجتمع"**(رميتة، 2012).**

لهذا يمكن القول مع "ألفين غولدنر": "سوف يكون هؤلاء الذين يدركون أنه ليس هناك سبيلا آخر لتأسيس علم اجتماع جديد بدون أن نشرع في ممارسات جديدة"**(غولدنر، 2004، ص742).**

وفي الأخير، من الأهمية بمكان الإشارة إلى الملاحظة الموجهة للأستاذ جمال غريد من طرف الأستاذ بشير محمد مفاده "أن هناك توجهين

للمشتغلين في علم الاجتماع في العالم العربي بعامة والجزائر بخاصة، أحدهما يرى أن التراكم العلمي يتم على أساس إنجازات المحليين بالدرجة الأولى بينما يعتقد الثاني أن لا خلاص إلا بالاعتماد على الإنجازات الغربية"، فرد عليه "عندما اطلع بعض الزملاء في فرنسا على مخطوط كتابي <<الدخول إلى السوسيولوجيا>> قالوا: أنت على حق ولكن وجه هذا الكلام إلى زملائك في الجزائر لأننا نحن أنتجنا سوسيولوجيتنا حسب خصوصياتنا الأوروبية"**(بشير، 2017، ص19)**.

نماذج عن بعض الأعمال المحلية:

L'exceptionAlgérienne : la modernisation a l'épreuve de la société.

L'entrée en sociologie : les limites de l'universel européen :implications concrètes dans le monde d'aujourd'hui.

هاذان المؤلفان للباحث "جمال غريد"، نشر الكتاب الأول: "الاستثناء الجزائري: التحديث في محك المجتمع" سنة 2007. تكلم فيه عن الاستثناء الذي يعيشه المجتمع الجزائري،حيث أنه بعد لاستعمار الفرنسي والعلاقة به "**المقاومة والتكيف**"واللتان طبعتا المجتمع الجزائري في العمق، جعلته يعيش ثنائية ثقافية متمايزتين، وهذا الاستثناء حسبه حدث في الجزائر ولم يحدث في أي دولة عربية أخرى.

أما المؤلف الثاني والذي اعتبره توأما للكتاب الأول "الدخول في علم الاجتماع، حدود الكونية الأوروبية، ونتائجها الملموسة في عالم اليوم" والذي نشر سنة 2013.يتساءل "غريد" في بداية هذا الكتاب حول شروط إمكانية التحليل السوسيولوجي في المجتمعات غير الأوروبية(مسألة الكونية والخصوصية)، متناولا بذلك إشكالية الدخول في الفضاء أو الإقليم السوسيولوجي،ثم يطرح أشكال الدخول الثلاث إلى إقليم علم الاجتماع:

الخول عبر الكونية الأوروبية، الدخول عن طريق الخصوصية، الدخول عن طريق سوسيولوجيا التنمية.

*"مدخل لدراسة علم الاجتماع في الجزائر ما بين 1972-"1982 للباحث "بشير محمد"، والذي نشر في سنة 1994، تناول في هذ الكتابالعلاقة الموجودة بين علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، من خلال دراسة علم الاجتماع في الجامعة كممارسة (دراسة مضمون البرنامج الرسمي، وأشكال تلقينه، ثم دراسة دور علم الاجتماع في مراكز الأبحاث، وكذلك مساهمته في تكوين الإطارات السوسيولوجية.

*"نحو علم اجتماع نقدي" للباحث عنصر العياشي. نُشر سنة1999. يعالج الكتاب إشكاليات المعرفة السوسيولوجية،ومحاولة التوجه نحو تأسيس علم اجتماع نقدي. إذ يُرجع الوضعية التي آل إليها علم الاجتماع إلى ثلاثة عناصر: سيطرة السياسي على العلمي، عدوانية المجتمع وانغلاقه،ضعف منظومة التكوين.كما تحدّث عن تأرجح علم الاجتماع في الجزائر بين نزعتين متعارضتين: تبني مقاربات نظرية ومفاهيم غربية واستخدامها كقوالب جاهزة، وسيادة مقاربات سطحية. ما جعلها تقف عائقا أمام تأسيس سوسيولوجيا محلية.

إضافة إلى هذه الأعمال، سنكتفي فقط بذكر أعمال أخرى مع مؤلفيها منها:

*مجموعة من الدراسات تحت إشراف "علي الكنز" والمعنونة ب L'Algérie et la modernité.الجزائر والحداثة 1989.

*Les sciences sociales à l'épreuve du terrain 2015 Ali El-Kenz.)العلوم الاجتماعية في محك الميدان)

*Essai d'analyse sociologique 1985 : Nadji Safir.

(محاولات في التحليل الاجتماعي).

*دراسات مصطفى بوتفنوشت:

-La famille algérienne, Evolution et caractéristiques récentes, 1982. (العائلة الجزائرية : التطور والخصائص الحديثة).

-Système social et changement social en Algérie

(النظام الاجتماعي والتغير الاجتماعي في الجزائر).

-société et modernité : les principes du changement social

(المجتمع والحداثة: مبادئ التغير الاجتماعي).

قائمة المراجع

1.عبد الرحمن. عبد الله محمد. 1999.علم الاجتماع النشأة والتطور. دار المعرفة الجامعية.
2.أبل الكندري. أحمد جعفر حسين محمد.2006. الإيديولوجيا وعلم الاجتماع، دراسة في النظرية الاجتماعية. دار المعرفة الجامعية.
3.كابان فيليب. وآخر. 2010. علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات. ط1. تر إياس حسن. دار الفرقد للنشر.
4.الغزوي. فهمي2006.. المدخل إلى علم الاجتماع. ط1.دار الشروق للنشر والتوزيع. عمانالأردن.
5.عثمان. إبراهيم عيسى. 2008. مقدمة في علم الاجتماع. دار الشروق للنشر والتوزيع.
6.عبد المعطي. عبد الباسط.1989. في استشراف مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي. بيان في التمرد والالتزام. نحو علم اجتماععربي. علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة.ط2. سلسلة كتب المستقبل العربي (7). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
7.إبراهيم. سعد الدين. 2014. المرجعيات العربية للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي مقاربة تأليفية. ط1. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي.بيروت.

8.El Kenz. Ali.2004. les sciences sociales dans les pays arabes.Cadre pour une recherche. L'Algérie 50 ans après.État des savoirs en sciences sociales et humaines 1954-2004.éditions CRASC.

9.لبيب .الطاهر.علم الاجتماع في تونس: التدريس نصا وروحا، نحو علم اجتماععربي، علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة،ط2. سلسلة كتب المستقبل العربي (7). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت

10.معتوق.جمال. 2004 علم الاجتماع من النشأة إلى يومنا هذا. دار الإمام مالك للنشر والتوزيع.

11.دياب. محمد حافظ. 1990. علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال. مجلة المستقبل العربي. العدد 134. بيروت.
12.لوكا. فيليب وآخر. 2002. جزائر الأنثروبولوجيين: نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، تر محمد يحياتن وآخرون.
13.عروس. الزبير. 2014. مدخل في تاريخ الممارسة السوسيولوجية وواقعها. المدرسة الجزائرية نموذجا. ط1.مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي.مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

14.محمد أكلي.فرادجي. 2004. الإشكالية المعرفية للسوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر. دراسة عينة من الأبحاث الكولونيالية التي انجزت حول منطقة القبائل. علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع. علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر: أية علاقة؟ وهران أيام 4،5 و6 ماي 2002، دار القصبة للنشر، الجزائر.

15. بوراكي. محمد. 2000. واقع وأفاق البحث السوسيولوجي في الجزائر، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع. عدد01. أعمال الملتقى الوطني الثاني حول علم الاجتماع في الجزائر 1997.

16.معتوق.جمال. 2004 علم الاجتماع من النشأة إلى يومنا هذا. دار الإمام مالك للنشر والتوزيع.

17.Guérid .Djamel.2021. Société Algérienne et sciences humaines, mouvement social et modernité, hommage à Saïd Chikhi, Nakd/SARP.

18.معتوق. جمال. 2000. لمحة تاريخية عن الممارسة السوسيولوجية بالجزائر، حالة معهد علم الاجتماع بالعاصمة. الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع. عدد01. مجلة البحث السوسيولوجي.

19.الهرماسي. عبد الباقي. 1995. علم الاجتماع في تونس من جديد حول إشكالية الخصوصية والكونية. ع 195. مجلة المستقبل العربي.1995.

20.عنصر. العياشي. 1999. نحو علم اجتماع نقدي. دراسات نظرية وتطبيقية ديوان المطبوعاتالجامعية، الجزائر.

21.Mohamed Seddik. Benyahya.1974. allocution d'ouverture, 24eme congrès international de sociologie. Alger. 25-30 mars, 1974, T 1, office des publications universitaires.

22.بشير. محمد. 1994. مدخل لدراسة علم الاجتماع في الجزائر ما بين 1972-1982. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

23.Lakjaa. Abdelkader.2004. Algérie une société en attente de sa sociologie, sociologie et société en Algérie.

24.زاوي. مصطفى. 2009. السوسيولوجيا في الجزائر، الإشكالية وحقل الدراسة، أطروحة تخرج لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة وهران.

25.بوخريسة. بوبكر. 2011. المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 15.

26.Guérid. Djamel.2007. l'exception Algérienne : la modernisation à l'épreuve de la société, Ed Casbah.

27.Guérid. Djamel. 2013. L'entrée en sociologie : les limites de l'universel européen, implications concrètes dans le monde d'aujourd'hui, publisud.
28.الجابري. محمد. 1994. فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
29.النبهان.محمد فاروق.1998.الفكر الخلدوني من خلال المقدمة. مؤسسة الرسالة للطباعة والنش والتوزيع. بيروت. لبنان.
30.بشير. محمد. 2021. دراسات وأبحاث في سوسيولوجيا التنظيمات والعمل بالجزائر مرفق بمقالات. المكتبة الوطنية الجزائرية.
31. Abdelkader .Djaghloul. 1980. Trois études sur Ibn khaldoun, cahiers du C.D.S.H, n01.
32.بشير. محمد. 2018.علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر الرعيل الأول، دار كنوز للإنتاج وللنشر والتوزيع. الجزائر.

33.حسان مراني. 2021. مدخل السوسيو-أنثروبولوجيا التعريف، الموضوع، المنهج. عدد01. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. المجلد 15.

34.مولاي. حاج مراد. 2022. مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، أعمال الملتقى الوطني "أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر"، تيميمون، 22-23-24 نوفمبر 199، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر.
35.la socio-anthropologie ou comment repenser la méthode.2000. N°01.éditions Cahier du CRASC.
36.Claudine. Chaulet. 2008. Anthropologie et/ou sociologie ?retour en arrière sur nos pratique, L'Algérie 50ans après : état des savoirs en sciences sociales et humaines, 1954-2004, édition CRASC.
37.Madani. Mohamed. Marginalisation du savoir et blocage sociétal en Algérie. L'analyse guéridienne d'une issue vertueuse.
38.بوطالب. محمد. علم الاجتماع عاجز عن تفسير الظواهر المجتمعية إن لم يقترن بالأنثروبولوجيا. (diae_net/29972)
39.اندريه. لالاند. 1983. موسوعة لالاند الفلسفية. ط2. المجلد الاول. تر: خليل احمد خليل. منشورات عويدات. بيروت.

محمد. وقيدي. 1983. ما هي الابستمولوجيا؟ ط1. دار الحداثة، بيروت**40**
41.عبد الله. مصطفى وآخرون. الابستمولوجيا ودورها في تطوير العلوم الاجتماعية. عدد2. مجلة المداد، المجلد 11. الجلفة. الجزائر.

42.محمد الحسن. إحسان.2005. النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية.ط1. دار وائل للنشر.
43.مانهايم. كارل. 1980. الأيديولوجيا واليوتوبيا. مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة. ط1. تر. محمد رجا الديريني. شركة المكتبات الكويتية.
44.جمال. غريد. 2017. السوسيولوجي والأنثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية. إعداد وتقديم وتنسيق بشير محمد، المكتبة الوطنية الجزائرية.

45.مصطفى. مرضي. 2017. السوسيولوجيا والمجتمع الجزائري بين الكونية والخصوصية: قراءة في كتاب جمال غريد الدخول في علم الاجتماع، حدود الكونية الأوروبية، ونتائجها الملموسة في عالم اليوم، جمال غريد السوسيولوجي والأنثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية، إعداد وتقديم وتنسيق بشير محمد، المكتبة الوطنية الجزائرية.

46.غولدنر. ألفين.2004. الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي. ط1. تر وتأليف علي ليلى، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة.

47.غريد. جمال.2004.الزرعالإشكالي للسوسيولوجيا في الوطن العربي، حالتا مصر والجزائر، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر: أية علاقة؟ وهران أيام 4،5 و6 ماي 2002. دار القصبة للنشر. الجزائر.
48.بن نبي. مالك. ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية. تر عبد الصور شاهين. بيروت دمشق. دار الفكر
49.بشير. محمد.2016. من المحاضرات الدكتورالية جامعة تلمسان.

50.محمد كمير. الواثق. وآخرون. 1989. الدعوة إلى علم اجتماع عربي.مجلة العلوم الاجتماعية. عدد02. جامعة الكويت.

51.Djeghloul. Abdelkader.2015. l'homme et l'œuvre Actes du Colloque des 11 et 12 décembre 2011, coordination et présentation Lakjaa Abdelkader.les publications de L'université D'Oran PUO.
52.لقجع. عبد القادر. 2004. الجزائر أرض مغامرة للسوسيولوجيا، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر. دار القصبة للنشر. الجزائر.
53.رمعون. حسن.2014. ممارسة العلوم الاجتماعية في الجزائر، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. ط1. تر سهام بدوبية.

54.Chaulet. C.1984. la sociologie et ses utilisateurs, colloque sur les sciences sociales aujourd'hui, 26-29 mai. office des publications universitaires. Alger.
55.EL Kenz. Ali. 1989. Au fil de la crise, 4 études sur L'Algérie et le monde Arabe, éditions Bouchene. Alger 1 er trimestre.

56.رميته. أحمد. 2012/03/03. غياب الطلب غلى علم الاجتماع سبب عجزه عن فهم المجتمع. مقابلة مع سارة. نشر في الجزائر نيوز.